

مشق الحروف الهجائية

عند السالكين والواصلين والمتمكنين

الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم



Abul Azayem
www.abulazayem.com



مقامات الصوفية

عند السالكين والواصلين والتمكنين

الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

١٢٨٦ - ١٣٥٦ هجرية / ١٨٦٩ - ١٩٣٧ ميلادية

مقدمة

المقامات نتائج مشاهد التوحيد

المقامات نتائج مشاهد التوحيد، وللتوحيد اثنا عشر مشهداً، لكل مشهد مقام خاص، ولكل مقام منه أحوال بحسب مراتب هذا المقام، وأعلى المقامات مشهد التوحيد الذي يمنحه الرسول من أولى العزم صلوات الله وسلامه عليهم، وكل حال من الأحوال والمقامات السابقة تضحل في جانب هذا المقام العلى، لأن الرسل صلوات الله عليهم منحوا قوة الحجّة فلا تطمئن قلوبهم إلا بانبلاج الحقائق التى كلفوا بها، أما الحقائق التى منحوها للعلم والشهود فهى مقامات تسليم وإيمان، وأنت تعلم أن مقامات التسليم والإيمان فوق كل مقامات العلم والبرهان، لأن تلك المقامات العلية لا يبلغ أكمل كامل فيها مبلغ العلم البرهانى لعلوها ونزاهتها وقداستها عن إدراك الحيطّة، وبقدر ما منحوا من القبول بالحجّة البالغة منحوا التسليم الأكمل بتلك الحقائق العلية، وهنا أنبه فكرك إلى أن سر القدر قد يخفى على كثير من الرسل الكرام لإقامتهم فى الدعوة إلى الله، وهو معقول لذوى العقول، حتى إذا أثلجت صدورهم بالمبادئ الشرعية، وسلموا تسليماً، بينت لهم الحقائق العلية المتعلقة بأسرار القدر وغيره. وقد تبين تلك الأسرار لأفراد من أولياء الله تعالى، خصوصاً الذين لم يقوموا مقام الرسل فى الدعوة والإرشاد، وهنا أقبل بقلبك. رد الخضر على الكليم بقوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿ الكهف ٦٧-٦٨، وقول الكليم له: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ الكهف ٦٩، لأنه مأمور من الحق الذى قوله الحق، وليس مراد الخضر بقوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ الكهف ٦٧، أن الكليم لا صبر له، بل لأن الخضر يعلم أن الرسل صلوات الله عليهم منحوا قوة الحجّة، فلا تطمئن قلوبهم إلا بانبلاج الحقائق التى كلفوا بها.

مقامات قرب دونها مقعد الصدق
مقامات تمكين على منهج الهدى
لمن ورثوا أنوار فرد مكانة
كيف وفيها يجب الجمع بالفرق
لها كل شئ ظاهر ينبى بالحق
وقد جملوا بعد المحبة بالشوق

صلاة على شمس الهداة حبيبنا
تلك المشاهد للروح الجملة
تلك المراتب للأفراد قد ظهرت
عنى خذوها بنور القلب إن بها
والوصف والاسم فى ذات مطهرة
راح طهور من الإحسان واهبه
بشرى لمن شربوا بشرى لمن شهدوا
صلاة بها نحظى بمنزلة الصدق
تلك المشارب للذات المكلمة
والشمس قد أشرقت تنبى بعاطفة
وجه العلى الجلى للمواجهة
لاحا يشيرا بنور عن منازل
بالفضل مولاه عن أسرار سابقة
فازوا بوصلى وقربى عن معاملة



الباب الأول

مقام السماع

السماع الممدوح شرعاً

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ النساء ٤٦،
وفي الأثر: (الصوت الحسن نَفْسٌ من نَفْسِ الرحمن).

معلوم أن الأسرار الإلهية المتعلقة بكلمات الأسماء والصفات لا طريق لها إلا السماع، قال
الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النحل ٧٨.

فجعل الله تعالى الأبصار لتشهد الكائنات، وبها تظهر الآيات للأفئدة، وخلق الله السمع
ليصغى إلى كلام الله تعالى وبيان رسله عليهم الصلاة والسلام، فيوصل تلك الأنوار إلى
الأفئدة، فتفقه أسرار الله، وتنعقد على الحق. وقبل أن أتكلم على السماع عند القوم، أبين
الخلاف فيه، وقد وضحت جملاً منه في كتاب "معارج المقربين"، ولما كانت النفوس قبل
تزكيتها وتطهيرها من لقسها، ينبغي أن يكون سماعها رنين سيات الإنذار والتخويف، حتى
تطهر من طمع في الدنيا وغرور بها، ثم يترقى السماع إلى سماع البشائر بالملاذ الباقية والنعيم
الأبدى، حتى تزكو من الإخلاق إلى الأرض، ثم يكون السماع بنغمت الرغبة والرغبة، ليصفو
جوهر النفس، صفاء يجعله مُستعداً لتلقى العلوم النافعة، ثم يكون السماع بسماع الحكمة
العالية لاستجلاء تلك الحقائق في جوهر النفس، فتنجذب بالكلية إلى عالمها الأعلى،
وتفارق مفارقها، وترى الدنيا كما وصفها الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ
الْغُرُورِ﴾ آل عمران ١٨٥، والمتاع هو سقط البيت الذي لا ينتفع به، وكفاها تعسة أن الله تعالى
سأها دنيا، لأنها مأخوذة من الدون، فإذا صفا جوهر النفس وقبل العلوم النافعة بطريق
السماع، واتصل بعالمه الأعلى بحسب الحقائق العلمية التي نقشت عليه، انفتق رتق القلب،
فصغت أذن القلب إلى نغمت الكائنات وفقهت تسبيح كل شيء، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ
شَيْءٍ إِلَّا لَيْسَ بِحَمْدِهِ﴾ الإسراء ٤٤، وللكائنات نغمت تبتهج بها الأرواح، متى صغى إليها

القلب، اطمأن بمقلبه سبحانه، ومتى اتصلت النفس بعالمها الأعلى التي هي منه، سكنت إلى منفسها سبحانه، وإذا اطمأن القلب بمقلبه وسكنت النفس لمنفسها، كان السماع معراجاً للوصول وبراقاً للقبول، يحصل به للنفس سياحتها الروحانية في ملكوت الله الأعلى، وقد شرحت لك السياحة الروحانية في كتاب "الفرقة الناجية"، ومتى ساحت النفس في ملكوت الله الأعلى، تجافت عن دار الغرور واتصلت بالنور، فحصل لها الحضور وكل ذلك بسر السماع.

السماع المذموم شرعاً

وقد يخطئ بعض الناس فيذمون السماع. نعم، ولكن يلزم أن يكون ذمه من الجهة التي يُذم منها، فإن أهل النفوس النجسة التي لم تنزك، ولم تخرج عن مقتضيات عناصرها، إذا سمعوا الحكمة جذبتهم حظوظهم إلى ما لا يحمد، فمنهم من يعينه السماع على عمل المحرم كالزنى وشرب الخمر والقتل وبذل الأموال في غير الوجهة الشرعية، وإثارة العواطف وفساد الأخلاق، وهذا السماع مُحرم شرعاً، ويجب أن يحجر على عمله، ومن السماع ما هو أشد حرمة من هذا، وذلك أن يجلس أهل النفوس النجسة في مجالس أهل السماع مع العلماء الربانيين في خلواتهم، أو تؤخذ إشارات الرجال وأسرارهم، فتنتشر بين العامة ممن لم يحصلوا العلوم الشرعية اللازمة لهم من التوحيد والفقه وعلم الوعد والوعيد والإنذار والتبشير والإيمان بيوم الحساب، ومعرفة الأسباب المرتبطة التي وضعها الله لعبارة الكون وربط بعضه ببعض سبحانه، وجعلها دلائل على وحدانيته وبراهين على حكمته، فإن أمثال هؤلاء إذا جلسوا في تلك المجالس، أو سمعوا هذه الحكمة أخرجتهم عن الاعتدال فضلوا وأضلوا، نسأل الله السلامة.

وهذا في الشرع من أكبر الكبائر، لأن الشرع ينظر إلى نتائج الأعمال، وهذا السماع ربما أنتج القول بالحلول، أو أنتج ترك الأعمال الشرعية، أو أنتج محو الأحكام وعدم الأسباب حتى قد عمت البلية، فادعى تلك المعانى أهل الجهالة، ممن لم يعرفوا أنفسهم فضلاً عن معرفة الله سبحانه وأيامه وأحكامه، وجعلوا تلك الأسرار العلية مصائد للدنيا، فطلبوا الدنيا بالدين، قال ﷺ: (ملعون ملعون ملعون، قالوا: من يا رسول الله؟ قال: من طلب الدنيا

بعمل الآخرة)، وقال ﷺ: (تعس عبد الدرهم والدينار تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش). وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ﴾ البقرة ٤١.

وإني لا أعذر رجلاً نشر الحكمة بين العامة فأفسد عقولهم وأعذر العامة، ولا ألوم على من بخل بالحكمة غيره عليها أن يتناولها غير أهلها، وكيف توضع الجواهر تحت أقدام الخنازير!؟

وعلى ذلك فالعاقل لا بد أن ينظر قبل الحكم إلى نتائج العمل، فإن أنتج خيراً فخير، وإن أنتج شراً فهو محرم لأنه شر، وكيف يُجرم السماع؟! وإنما تأسست الأديان على السماع، وما من نبي بعثه الله إلا وأنزل عليه ما يتلوه على قومه، وما من عالم بين قومه إلا وقام يبين للناس ما أنزله الله على رسوله عليهم الصلاة والسلام.

السماع عند السالكين

الحق غيب والدلائل العقلية خفية، والروح آلهة والسماع طهور، وإنما تحتسيه الأرواح وإن ظهرت الأشباح، والنور يخفى على من لا بصر له، وقد يخطف الأبصار، والحكمة مقتضية، ومن منع الحكمة أهلها ظلمهم، ومن أباحها لغير أهلها ظلمها، ولا نترك الحق لكثرة المنكرين، ولا نبيحه لغير أهله رغبة فيما تميل إليه النفس من الضنين، فإن قويت الصولة اشتدت الجولة، فمعذور من غلبه الوجد وإن حصلت به المضرة للغير، قال الله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ البقرة ٢٦، وإنما المؤاخذة على من يضع الجواهر تحت أقدام الخنازير، ومن يبيح أسرار الحكمة لأهل الجهالة الغافلين، وإن العالم الرباني ليبذل نفسه قبل أن يبذل نفائس الحكمة، ولذلك تراهم ائتنسوا بالوحوش، واستلذوا الفياقي، وابتهجوا بالجلوس في المقابر وتلذذوا بالآلام الجوع والعري إعظاماً للحكمة، وإجلالاً للمعرفة وخشية على تلك النفائس أن يتلقاها غير أهلها، وسنة العارفين في سيرهم مجلس للأحكام ومجلس للأعمال، ومجلس لتزكية النفوس وتعليم الحكمة، ومجلس للحاكم الواحد القهار القادر الحكيم حتى تتوازن القوى، ويكون المسلمون أمة وسطاً كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة ١٤٣.

فمن لم ينتفع بالربانيين في كل مجلس من تلك المجالس، فهو في حظ مبعد وهوى حاجب وضلال مهلك، نعوذ بالله، والسالك الذي يجد شأناً من شئون الرجل ولا يميل إلى بقية شئونه، فهو سالك إلى نار جهنم. قال الله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ آل عمران ٧، وقال مُشْنَعاً على المغرورين بأنفسهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الحج ١١، وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ الأعراف ١٧٥، وقال لمن لم يتلق بيان الكتاب والسنة عن العلماء الربانيين: ﴿يُحْرِفُونَ الكَلِمَةَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ المائدة ١٣.

ولا يعلم مراد المتكلم إلا المتكلم، أو من أعلمه المتكلم، فتلقى أسرار الكلام من المتكلم بالنيابة عن نفسه، أو ممن علمه المتكلم بالاستحضار، أو ممن ورث هذا العلم بالحضور والمواجهة، وليس هذا دعوى يدعيها الجاهل المغرور، ولكنه نور الله الذي لا يعطيه إلا لمن أطاعه، وتنزه ربنا أن يعصاه العبد ويطيعه، إذا قدر سبحانه في أذله أن يطيع عبده ويحجب، قدر له أزلاً التوفيق لطاعته والعمل بوصاياه، وهداه سبيله القويم وصراطه المستقيم.

السماع عند الواصلين

تصفية السر عما سوى الحق لاستجلاء أنوار الجمال وبهاء الجلال وضياء الكمال، وانبلاج أنوار المواجهات في المنازلات، والمسارة إلى مقابلات الصفا والوفا، والمسموع نغمات التسبيح بالتلويح، من روح قرآن الحقائق سماعاً من الموصوف، عند الاتحاد في المعروف أو قبساً من مشكاة الأنوار، عند الفناء بالأسرار في تنزل القرآن، أو من الختم الوارث استحضاراً وبياناً ثم كشفاً وعياناً، وهو القول المثبت قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ إبراهيم ٢٧.

والواصل صورة الرحمن، وهو في الحقيقة الإنسان كملت مبانيه فصحت معانيه ولاحت معاليه، كشف الحجاب له عن حقيقته، فكان وهو في هذا المقام العلى كأنه في حمئه المسنون، أو في قراره المكين، يشهد حقيقته ذلاً واضطراباً ومسكنة وافتقاراً وجهوليته وظلوميته، فتلوح

أنوار المتجلى له فيه به، والمراتب محفوظة والمراقى مشهودة والمعاني ملحوظة، وهو الإنسان الكامل مشكاة الأنوار، يُجمل بالمعاني المحمدية شجرة زيتون المثال، ومصباح أنوار البيان وروح الكل في الكل، إليه اشتاق رسول الله ﷺ، وهو القريب الغريب، جسمه بين الناس وقلبه معلق بالرفيق الأعلى، أرضى مبنى وعملاً، سماوى علماً وحالاً، حجبت عن الأبصار معانيه وصعبت على السالكين مراقيه، والسماع في هذا المقام نفثات قدسية من مشكاة الأنوار المحمدية، في روح فارغ مما سوى الله، وهو الكامل في الحضرتين لا يقهر برزخه كثائف أمواج المشهد العلى فيتيه في بادية الغلو، ولا يقهر مشهده العلى دخان البشرية فيحجبه عن منازل الأخيار، قال تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ الرحمن ٢٠، وفوق تلك المنزلة من السماع منازل تطوى بساطها ونخفى حقائقها، ضناً بالحكمة أن تعطى لغير أهلها، وإيثاراً لها عن وحول الجهال، لم يسمع منى ولم يرو عنى منها في سياحتي إلا رجل اصطفتيه لنفسى، كنت أخشى على ماعونه أن يضيق فلا يفيق، وإذا به خرج من نفسه حتى صار أنا حساً ومعنى، ولولا أن أنوار الخلوقة قاهرة، وأسرار التأله غالبة لقلت، ولكنه أخى وصاحبى، وإن خرج من نفسه بنفسى، حتى صار في عينه عيني، ولكنى لا أقوى على ذلك فيه وله، لأن القلب لا يسع اثنين، وفرارى من البين، وقد ذكرت اسمه وتاريخه في تراجم المضمون، وصحبته ووفائه هذا ميزان طريقي، وما كتبت في المضمون لم يبيح إلا لنفسى أو لهذا الإنسان الكامل، أما ما انتشر بين بقية الإخوان، فإنما هم كما قال الحكيم: (وللأرض من كأس الكرام نصيب).

أعلى مقامات السماع

وأعلى مقامات السماع أن يسمع الفرد الكامل، صورة الرحمن من الرحمن، حيث لا قيود ولا أعلام ولا حيطة ولا إمكان، وللقدره عجائب تسجد على فنائها العقول، وتضعق على وهادها قبل جبالها النفوس، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ الأعراف ١٤٣.

هذا رذاذ من الحكمة وطل من المعرفة، إن صادف أرضاً خصبة من أرض القلوب، تفجرت منها ينباع الحكمة، وأزهرت وربت وأنبتت من كل زوج، وإن صادفت أرضاً ملحة أو ذات

قيعان فأفسدت الحكمة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ آل عمران ٧٣، وقال ﷺ في الحديث الصحيح: (مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَىٰ وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتْ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتْ الْكَلَاءَ، وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبٌ، أَمْسَكَتُ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا، وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّهَا هِيَ قِيْعَانٌ، لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَاءً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فُقِّهَ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ).

والله تعالى أسأل، أن يأتي بالقوم الذين يحبهم ويحبونه، الذين تحققوا بالآخرة حتى كأنهم صاروا فيها، وتحققوا بالدنيا وزوالها فتجافوا عنها وفارقوها، وأشرف بهم الحق على قدس العزة والمجربوت الأعلى، ففنوا عن الدنيا والآخرة، قال ﷺ: (الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، والدنيا والآخرة حرامان على أهل الله).

أكتب في السماع، وأعلم أن له مضاراً بالعامّة، ولكن سنة الله في خلقه أن الخير ينشر لأهله وإن أضر غيرهم.

وهذه الشمس المضيئة نهاراً تضر أعين كثير من الحيوانات، كالحفافيش واليوم والحيوانات المؤذية، ومع ذلك فإن الله تعالى أعلاها وأضأها وسخرها، فلا تغيب عن أفق إلا وأشرق في أفق، مهما كان الضرر بها عظيماً، قال الله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰسِقِينَ﴾ البقرة ٢٦.

وإني أعوذ بالله أن أكتب ما كتبت لفتنة، أو لإظهار بدعة أو لفساد عقيدة، أو لإضعاف القوى العقلية، قال ﷺ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ).

على أنى لا أزكى نفسى، وأستغفر الله من كل ما كتبت مما هو من عجلتى الفطرية، ورعونتى النفسانية، ولا عصمة إلا بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

عذر من أنكر السماع

أما السماع بالآلات والأوتار وذكر النساء والفخر والشجاعة وتجديد الضغائن وإثارة الخواطر، فلا شك أنه محرم، وأن المجتمعين عليه آثمون.

أما سماع الحكمة نثراً أو نظماً، الدالة على الخشوع والخوف من الله والرغبة فيما عند الله، والحاجة على ما أوجبه الله ورسوله ﷺ، فممتعين على كل مسلم، والمنكر عليه من جهة القائم به وعدم أهميته للقيام به معذور.

أما الحكمة الروحانية، التي تكشف للقلب أسرار مدلولها، حتى كأن السامع يتراءى ربه سبحانه وتعالى، إذا كان المجتمعون على السماع فيها تجملوا بالعلوم الشرعية وتحققوا باليقين الحق وقاموا لله بما أوجب وبما رغب فيه، فهي معراج القرب إلى الله جل جلاله، ومنكرها إما أن يجهلها وله العذر، لأن من جهل شيئاً عاداه، وإما أن يعلم فضلها ولكنه يخشى على المجتمعين أن تزل بهم القدم، فله العذر أيضاً في إنكاره، ولكن عليه أن يتحمل معهم ليكون مزاجاً لهم، وقد تحمل سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه من فادح الآلام وعظيم الملام، بسبب تغنيه بالقرآن ما لا تتحمله الشمم الراسيات، ومن قرأ حديث الهجرة في صحيح البخارى يذوق رحيق ما كتبت ويفقه بيان ما وضحت، ولا أرانى إلا مع من ينكر على السماع إذا أبيع لغير أهله، وإذا أشمخ للجاهلين به، فإنما هو طهور الأرواح لا ماء الأشباح، وبراق الوصول لا طريق العبور.

سماع ﴿أَلَسْتُ﴾ حنين الروح والعقل
سماع به عهدى القديم ولوعتى
أحن إلى هذا السماع لعلنى
حنينى إلى هذا السماع ولوعتى
ولولا حنينى للسماع لما رأى
لأنهمو أهل القبول تجملوا
تعالوا بنا نشتاق فالشوق جاذب
ومن مندها والفرد يلتمس الوصلا
ومن قبلها قد كنت نوراً ولا فصلا
أعود إلى بدئى فيسمعنى القولا
إلى أن أرى الوجه الجميل ولا ظلا
سوى من الأحوال ما جنن الأهلا
بما سمعوا لما أنالهموا الطولا
إلى حضرة الإطلاق إذا كانت السؤلا

الباب الثانى

مقام التسليم

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ آل عمران ٢٠، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ لقان ٢٢، ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسَلِّمُوا لَهُ﴾ الزمر ٥٤، وقال سبحانه مخبراً عن خليله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الأنعام ٧٩، ومن دعاء النبي ﷺ: (اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك (وفى رواية وابن أمتك)، وعلى عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت وأبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي، فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت).

والتسليم والإسلام بمعنى واحد، ولذلك ورد فى بعض الروايات ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ البقرة ١٢٨، بالتشديد، لأن مدلول اللفظين الاستسلام لحكم الله وقضائه سبحانه، فالاستسلام للحكم شأن المؤمنين العارفين بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء ٦٥ .

فوصفهم الله بصفات ثلاث:

- ١ بأن يرجعوا فى أمورهم إلى رسول الله ﷺ.
- ٢ وبأن يشرح الله صدورهم لما يحكم به.
- ٣ وبأن يسلموا تسليماً يُنبئ عن الرضا الحقيقى، لا تسليماً مشوباً بكراهة أو قبض صدر، فإن كثيراً من الناس يُسلم مكرهاً، وليس هذا بالتسليم عندنا.

والتسليم لقضاء الله فيما يجريه الله تعالى من الشئون، هو الميدان الذى تتسابق فيه همم المؤمنين، لأن العبد بين حالتين: شدة ورخاء، فالمؤمن الكامل يرضى عن الله سبحانه وتعالى فى الشدائد رضاءً عن انشراح صدر، لعلمه بحكمة ذلك، لأن الله سبحانه وتعالى له فى كل شأن حكماً تطمئن بها قلوب المؤمنين.

والمؤمن الكامل يشكر الله سبحانه وتعالى عند الرخاء، شكراً ينبئ عن حقيقة التوحيد التي كشفت له أنه عدم لولا فضل الله عليه، وأنه لا يستحق شيئاً إلا بفضل الله ورحمته، فيكون شكره خالصاً ورضاه حقيقياً، ومنهم من يعتقد سرعة إغاثة الله تعالى، وينتظر فضله فيصبر، ومنهم قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ وَمَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ الصافات ١٦٤.

والتسليم لقضاء الله تعالى يتصل بالتسليم بحكم الله، فإن المؤمن إذا عرف نفسه عرف ربه، ومتى عرف ربه جملة بالتسليم له سبحانه وتعالى، ويعرف أن الحكم لله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ الأنعام ٥٧، فكذلك جريان الشئون إنما هو بقضاء وقدر من الله تعالى، فالمسلم للحكم يسلم للقضاء، وليس المراد بالتسليم أن يقبل المؤمن الحكم أو يخضع للقضاء بلا معارضة ظاهرة، إنما التسليم إرجاع الأمور كلها إلى الله تعالى، واعتقاد أنها منه سبحانه، وأنه لا يحصل شأن من الشئون إلا بتقديره.

وهنا لطيفة تخفى على كثيرين من أهل التسليم، فإن الإنسان إنما يسلم الحكم لله فيما يتعلق بالمعاملات والعبادات والأخلاق والعقيدة، ولا يسلم في الحكم بما جاء يخالف صريح الشرع، بل يلزمه أن يعارض فيه ويدفعه ما استطاع، ويكرهه حتى يغلب على أمره، وكذلك في القضاء بصفته عبداً لله يجب عليه أن يسلم لله جل جلاله، فيما يتعلق بالشئون بعد بذل ما في وسعه لدفع المضرة عن نفسه وجلب الخير لها، ثم بعد ذلك يسلم له مسارعاً إلى العمل بأمره سبحانه، فإن الواجب علينا أن نسعى لطلب ما لا بد لنا منه كما أمر، ونرضى عنه سبحانه فيما قدر.

وهناك تسليم للجهلاء ليس من الدين في شيء، فترى الجاهل يعصى الله جل جلاله، فإذا سأله يقول لك: مقدر عليّ، وأنا راض بما قدره الله عليّ، وقد جهل. فإن الله جل جلاله قدر ما يحبه وما يكرهه، والعبد مطالب أن يكره ما يكرهه الله، وأن يحب ما يحبه الله، ومطالب أن ينسب إلى نفسه ما يكرهه الله أدباً مع الله، وأن ينسب إلى الله ما يحبه الله تحقيقاً لكمال التوحيد، ومن قال تلك الكلمة ارتكب إثمين عظيمين: مخالفة لحكم الله تعالى، وسوء الأدب مع الله تعالى، فالأدب مع الله شريعة، والتحقق بالتوحيد بأن الله قدر كل شيء حقيقة، ومن ترك الشريعة كيف يتفضل الله عليه بالحقيقة، والحقيقة روح الشريعة.

ولا يكون التسليم تسليماً حقاً إلا إذا تجرد من العلل، فمن شهد نفسه مسلماً وسكنت نفسه إلى التسليم، لم يكن مسلماً عند العلماء حتى يفنى عن تسليمه، ويرى أن الله تعالى هو الذى مَنْ عليه بالتسليم، وأنه أسلم به إليه سبحانه، فإن التسليم من أعلى مقامات اليقين ومنازل المقربين، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء ٨٩.

التسليم عند السالكين

رجوع ما تقف دون دركه العقول، بما لا ينكشف للأوهام من الغيب للمدبر القادر، ثم الإذعان لما يخالف ترتيب العقول، ويضاد تجارب النفوس من تداول الدول تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ آل عمران ١٤٠، مع الرضا بما قسم معتقداً أنه بتقدير أزلى، ثم المسارعة ببذل الجهود إلى ما يتجمل به المرید من الأحوال السنية، فإن أسرار الغيب تزاحم العقول مزاحمة، إن استرسل المرید معها حجبته عن مشاهدة حكمة الوجود، وإن لم يخضع لمقتضيات القدر فى سير الدول حجب عن التصديق بالقدر، وإن لم يسارع إلى بذل الجهد لنيل ما به رقيه، وقف دون الغاية التى تسارع إليها نفوس المریدين الظاهرين.

التسليم عند الواصلين

هو تسليم العلم إلى الحال، بمعنى أن العلم سير مخصوص فى الأحكام، فمن حكمه لم يفز بالرضوان الأكبر، لأن علم الأحكام فرقان ما بين المنزلتين من قبول أو رد، فمن حكمه على الحال، إما أن يقف بين المنزلتين أو يرد إلى البعد، والحال داع لبذل قصارى الجهود لينتقل من الأعراف إلى التعريف، ومن التعريف إلى التعرف، ومن التعرف إلى المعروف سبحانه وتعالى، بمجاهدة لا يتحملها إلا أهل الأحوال السنية، الناتجة عن بذل ما فى الوسع للتمسك بالأعمال السنية، وليس المراد بتحكيم الحال على العلم ما يفهمه من لا معرفة لهم، من أن الأحوال خروج عن النمط الأوسط، ومفارقة للصرائط المستقيم، فإن هذا ليس هو الحال، وإنما هو استدراج نعوذ بالله منه. إنما الأحوال عندهم أن تنكشف لك الجنة وما فيها فترى مهانة الدنيا وما فيها، وترى أن نفساً تصرفه فى طلب الدنيا يحجبك عن تلك الدار المنجلىة لك، وينتج لك خيبة وندامة، فتبخل بأنفاسك وتجدد بما سواها فراغاً لقلبك، وأحوال

أصحاب رسول الله ﷺ هي الأحوال العلية، فإنهم بذلوا أوطانهم ففارقوها فراراً بدينهم، وبذلوا أموالهم ثقة بربهم جل جلاله، وبذلوا أنفسهم فرحين راضين عن ربهم، لا لعلة دعت ولا لغرض بعث، إلا وجه الله الكريم، وتلك الأحوال هي موازين أهل الأحوال العلية، وكل من ظن أنه من أهل الأحوال، ولم تكن أحواله مطابقة لأحوالهم فهو مستدرج مخدوع، إذ الحال مقتضى الوقت ولازمه، فإن اقتضى الوقت الهجرة من الوطن هاجر، وإن اقتضى بذل المال بذله، وإن اقتضى أن يقدم نفسه قدمها لله راضياً عنه مرضياً منه، ومن كان حاله يقتضى جمع أموال الناس واستخدامهم، والشهرة بينهم فحاله حال مستدرج.

إذا علمت من إجمالي هذا ما لا بد لك منه من علم الحال، فهذا هو الحال الذي يحكم على العلم، ويجب أن نسلم له العلم يفعل فيه ما يشاء، والرجل ذو الحال العلية ينوع الله به أفكار الخلق إلى منازل القرب والحب، وللحال تأثير روحاني على قلوب المريدين، ربما أخرجهم من الملك إلى الملكوت في نفس، بل ومن أنفسهم إلى منفسها سبحانه، ثم يسلم القصد إلى الكشف، وليس بتسليم القصد إلى الكشف أنه عند الكشف لا يكون قصد، وذلك ما لا يقول به عارف بالله، ولكن المراد من تسليم القصد إلى الكشف أن المريد قد يقصد في بدايته مقصوداً بقدر علمه، فإذا من الله عليه بالمشاهدة جهل فحكم القصد في الكشف، وقد يكون مقصده الجنة، فتلوح عليه أنوار قدس العزة، فيقف قصده عند الجنة، فيكون شهوده فوق قصده، بل الواجب عليه أن يسلم قصده إلى كشفه، فيكون مقصوده فوق الكشف، فإن الكشف يظهر له ما فوق علمه، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة ٢٨٢، وقال تعالى ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ الأنفال ٢٩، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاٰمِنُوا بِرِسُوٰلِهِ يُوْتِكُمْ كِفٰلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُوْرٌ رَحِيْمٌ﴾ الحديد ٢٨.

ومن يسلم القصد إلى الكشف يدوم رقيه، وينمو القصد عنده، ومن أنساه الكشف القصد، وقد سلم القصد إلى الكشف، ومن فهم أن تسليم القصد إلى الكشف أن الكشف لا يجعل للواصل قصداً، فقد جهل طريقنا، فإن الكشف ينمو به وجد الأرواح المحرق، وتشتد به الحيرة، ويقوى به الشوق المزعج إلى القصد الأعظم الذي شهدت الأرواح آياته، وواجه السر تجلياته، فالكشف يقوى به المقصد، ثم يسلم الرسم للحقيقة، وقد جهل بعض من لا

علم لهم بطريقنا، فظن أن المراد بالرسم الأحكام الشرعية، وتسليمها للحقيقة ترك العمل بها، وهو الجهل الذى أوقع كثيرين من الأدعياء فى مهاوى الضلالة والكفر نعوذ بالله من الجهل بطريقنا هذا، ومن السير بغير المرشد الكامل وكيف يصل من لا دليل له، أو يفهم من لا مُفقه له!

ومعالم الطريق خفية، والمقصود عظيم كبير متعال، والمرشد الكامل كبريت أحمر، فمن لم يبذل نفائس أنفاسه فى البحث عنه، وكرائم أمواله فى الحصول عليه، ونفسه ليرضيه ويقتدى به فهو طالب لحظه وشهوته ومغرور، ولنا فى اصطلاحنا إشارات تومى إلى حقائق، إن لم يتلقها السالك أو الواصل من المرشد الكامل حقاً، ضل فى سيره ووصوله، فالرسم عندنا هو الواصل بنفسه لأنه فى الحقيقة رسم وصورة، وتسليم الرسم إلى الحقيقة تسليم معانى الإلهية للإلهية، وصفات الربوبية إلى الربوبية، حتى يكون متجماً بحقيقته، متحلياً بحل رتبته، فلا يرى له سمعاً ولا بصراً، ولا حولاً ولا قوة ولا علماً ولا ظلاً ولا نفعاً ولا ضرراً، وبذلك يكون سلم الرسم للحقيقة، وتخلي عن الدعاوى الباطلة والنسب الكاذبة، مع القيام بما فرض الله سبحانه وسنه رسوله ﷺ، مع المسارعة إلى نوافل البر، بما قام به الأئمة، مسلماً تلك الرسوم إلى الحقيقة، منها وبها ولها بحسب مشهده، وقد ادعى بعض أهل الباطل والضلال، أن قولهم هدم الرسوم، هو ترك العمل بالشرعية، وقولهم تسليم الرسم للحقيقة، أى ترك أحكام الشرعية، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدتهم عن السبيل، وليست الأحكام الشرعية رسوماً ولكنها حقيقة، فيجب على الواصل أن يرد الرسوم، وهى أوهامه وخيالاته وظنونه الناتجة من حظوظه وشهوته، إلى الحقيقة التى هى الأحكام الشرعية، وهذا الظن السيئ جعل كثيراً ممن وقفوا عند قشور الشريعة من العلماء أهل الظاهر، يؤولون كلامنا إلى غير ما نريده، بحسب ما وصل إليه مبلغهم من العلم، فأنكروا على الرجال حالهم وكشفهم لما فهموه وما رأوه من أهل الضلال الجهال. ولولا أنى أكره أن أشغل الواصلين بما لا فائدة فيه، لكشفت لهم الحقيقة فى هذا الموضوع، ولكنى أكل نفسى وأكلهم إلى الولى الذى يتولانا بولايته، وأنبه إخوانى إلى نظر هذا الموضوع بفكر وروية وأن يتذوقوا من كلامى ذوقاً لا يخرجهم عن مرادى إلى ما يخالف الشرع الشريف، أسأل الله أن يحفظنى وإخوانى والمؤمنين جميعاً من السير فى طريق الله على غير هدى، وأن يمن علينا جميعاً بسوايغ إنعامه ومزيد فضله، إنه مجيب الدعاء رب العالمين.

التسليم عند أهل التمكين

تسليم ما سوى الحق إلى الحق، فالتسليم عند الواصلين تسليم ما للحق وللحق بتبرئة من الحول والقوة، والتسليم عند المتمكنين تسليم تمليك له سبحانه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ آل عمران ١٢٩، فهم قد شهدوا معانيهم الحقية التي هي عين ما هم عليه في الحقيقة، ثم كاشفهم الحق بأنه مبدعهم وموجدهم، وأنهم له وليسو لهم، فسلموا ما له ملكاً وأقبلوا عليه عبيداً مملوكين، حتى حصلت المواجهة بين العبد والسيد، فكان أقرب إليهم من أنفسهم، وأولى بهم منها وأحب إليهم منها، ثم بلغوا من القرب مبلغاً تركوا فيه التسليم، لأنه أشهدهم أنه سبحانه أسلمهم به إليه، وليس لهم في الحقيقة عمل، فخلصوا من وحلة التوحيد، ومن اللبس من خلقٍ جديد، وفازوا بحقيقة التنزيه والتجريد، فهم العبيد حقاً الذين أقامهم الله سبحانه عمالاً له، وأكرمهم بأن جعلهم أولياءه، فهم أولياؤه وهو وليهم.

أسأل الله أن يجعلنا منهم، وأن يكرمنا بسرهم، إنه مجيب الدعاء آمين.

مرادى أو مرادك قد يكون
وثق بى واعتقد واعلم بأنى
ولا تغتر يا عبدى لقربى
قضاء نافذاً والخير فيه
فمن رام الوصول إلى جنابى
وكم من نعمة هي باب قربى
إذا لم أمتحن عبدى يقيناً
تريد بأن ترى حسناً وترقى
فمن رام الوصول إلى جنابى
فجاهد كل غير لى وبادر
تمسك إن أردت القرب منى
فسلم لا تغريك الشئون
شفوق بالذى يرجو حنون
فما هونته عبدى يهون
وكم عند الرضا قرت عيون
أصفيه وفى هذا فتون
وكم هول به فتحت حصون
فلا وصل يلى ولا شجون
بلا حرب شديد لا يكون
أصفيه وفى هذا فتون
بإخلاص فذا الحصن الحصين
بسنة أحمد فهو الأمين

في القلب أشرق كوكب التسليم
وسمعت نغمات الوجود تشير لي
عاينت في وجهي جمالاً مشرقاً
لما تجلى لي بأفق بيانه
وبه وجدت ومن ﴿أَلَسْتُ﴾ شهادتي
كلفت بالعهد القديم ولاح لي
فتنورت نفسي سنا معلومي
عن سرها بالكشف لا برسومي
بالذوق يشهد لا بحد علوم
في النشأة الأولى فأحيا ريمي
بجماله الأعلى بلا تعليم
وجه سما عن حده لفهوم

* * *

الباب الثالث

مقام التهذيب

سبق لي في كتاب " معارج المقربين " تعريف النفس وطرق تزكيتها، وفي كتاب " النور المبين " ما في النفس من الحكمة، وتعريف تأثيرات النفوس على بعضها بياناً ينتفع به السالك المرید لله جل جلاله، ولما كانت هذه الرسالة خاصة بعلوم الصوفية وأحوالهم ومنازلهم في سيرهم إلى الله جل جلاله، أحببت أن أبين التهذيب عندهم وهو منزلة من منازل السير.

التهذيب عند السالكين

وهو تهذيب الخدمة، بأن تكون خدمة السالك مطابقة للعلم، مجردة عن الجهالة، لا تكون عن عادة ولا تقف عند همة، فإن كانت الخدمة قد خالطتها الجهالة ومازجتها العادة ووقفت عندها الهمة، كان السالك كحمار الرحى، لا ينتقل من منزله الذي هو فيه إلى غيره، هذا هو السبب الذي جعل السالكين لا تنبلج لهم أنوار الآيات، ولا تلوح عليهم أحوال المناجاة، ولا يتذوقون للإيمان حلاوة ولا للتقوى لذة، وأنهم كالآلة المحركة بغيرها، وبذلك يكون السالك مردوداً عليه عمله لجهله بصحة العمل، مشركاً لنسبة عمله لنفسه، واقفاً لتقليده في العمل غيره.

التهديب عند الواصلين

وهو تهذيب الحال، بتخلية الهممة في الحال عن أن يتجمل به تقليداً لصاحبه أو بعد العلم بأسرار أهل الأحوال، وألا ينقاد لهم برسوم، فإن كان عن علم بالحال فتكلفه، أو خضوع لصاحب الحال فليس بحال صادق، إذ الحال بوايه من الحق تصول على أهله قهراً، فيظهر منهم ما بينته لك في الحال قبل ذلك، ولا يلتفت صاحب الحال إلى حظ عاجل أو آجل، فإن التفت صاحب الحال إلى الحظ كان حاله معللاً، ومتى كان الحال معللاً أدى إلى ضلال صاحبه والإضلال به، إذ الأحوال عن رسول الله ﷺ ورثت، وبالسير على صراطه المستقيم نيلت، وبالقهر على التحلى به ظهرت، فقد يلقي بنفسه من شاهق جبل، وقد يلقي بنفسه إلى النار، وقد يعلو على السبع، وقد يلقي بنفسه في اليم، وقد يترك الطعام والشراب الأيام الكثيرة، وقد ينفق نور رتق لسانه، فيبين من أسرار الحكمة وغوامضها بلا قصد ما لا يمكن أن يبين إلا بروح الإلهام، فكيف يكون هذا الحال مشوباً بحظ!

فيجب على الواصل أن يجرد حاله من تلك المعاني الثلاث، فإن ألم بنفسه لمة من تلك المعاني، خاف من الله أن يتجمل لخلقه بما ليس له حقيقة في قلبه، قال ﷺ: (من جمل باطنه لله جمل الله باطنه وعلانيته، ومن جمل علانيته للخلق قبح الله باطنه وعلانيته). فمن تجمل للخلق كشف الله ستره عنه وأذله أمام عباده، وإنما الضلال يأتي من الضلال، يجملون ظاهرهم لعباد الله المسلمين المشتاقين إلى الحكمة، فتميل إليهم نفوسهم فيضلونهم عن الحق، قال الله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ يونس ٣٢.



التهديب عند أهل التمكين

وهو تهذيب القصد، والإشارة فيه أولى من العبارة، لأن مشاهدتهم في التهذيب فوق أن يصرح بها، والأمر ثلاثة: قاصد وقصد ومقصود.

ولما كانت منزلة التهذيب تتعلق بالقصد دون القاصد والمقصود، وإن كان المقصود ملحوظاً فيها بالنسبة، لأن القصد به ينال المقصود، إذا كان على الوجه المناسب، والتهذيب

لا بد أن يراعى في هذا المقام بوجه أكمل، لأن مقام التمكين يبسط فيه بساط المؤانسة، وتجلى فيه أنوار المواجهة، وتلوح فيه أسرار المنازلة، والأدب فيه أولى بأن يتبع، وهفوة فيه سقوط من عالين، أعوذ بالله من سوء الأدب في مقام البسط في نزل التهذيب، فالمتمكن يصفى القصد من أن يشوبه شائبة إكراه، لأن الشعور بالإكراه في مقام القصد في التمكين برهان على التفات المقصود عن القاصد.

والالتفاتات في المقامات العلية لا تتدارك. قال ﷺ: (شيبتنى هود وأخواتها)، ومراده بهذا ﷺ بهذا والله أعلم بمراده، أن الله تعالى ذكر البعد في مقام البعد، فقال تعالى: ﴿الْأَبْعَدَا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثُودٌ﴾ هود ٩٥، وذكر البعد في مقام البعد يشيب الحبيب القريب في مقام القرب، لأنه يعلم أن من صفة حبيبه أن يبعد، فكان ذكر البعد في مقام البعد موجب لشيب السيد الشفيح الحبيب القريب، الذى لأجله أكرم الله الخلق أجمعين، من الملائكة والإنس والجن، وهى أكمل إشارة لأهل مقام التمكين، يحفظهم الله بها من الأمن في مقام البسط.

فإذا صفى القصد من شوب الإكراه، قام بجهد أكبر، مستعيناً بالله تعالى أن يحفظ القصد من أن يعتوره فتور، فإن الفتور في منزلة التهذيب في مقام القصد، لأهل التهذيب دليل على حرمان الإمداد الروحاني، والتفات الوجه الجميل - نعوذ بالله - والمطلوب للقرب تدوم بهجته وتعلو همته وتسمو عزيمته، وأهل العزائم من المرادين للحضرة وصفهم الله تعالى فقال جل جلاله: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ وبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿ الذاريات ١٧-٢٢.

وقد جعل الله تعالى الليل لباساً، فلبسوا فيه حُلل الأهمية وفارقوا فيه مضاجعهم، وخالفوا فيه هجوعهم، يقظة قلوبهم، ولذتهم بالقيام بين يدي حبيبهم، وما سقاهم من ظهوره الصافي فأسكرهم به، غيبهم عن حظوظهم، فهم مع الله، والله معهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ النحل ١٢٩، وقال ﷺ: (كن مع الله تر الله معك). وهل لمن رأى الله - تعالى - معه غاية سواه أو بغية إلا رضاه أو لذة إلا في ذكره! أو حظ إلا في المسارعة للقيام بأمره! أحبهم جل جلاله فأحبوه، وواجههم بوجهه الجميل ففروا منهم إليه، فلم يسر بهم وطر إلا إليه، ولا تلم بهم همة إلا له، صغرت والله في قلوبهم الدنيا والآخرة، عندما وقع

بهم العلم على عين اليقين، وكبرت نفوسهم عليهم أن تذلل لغيره، وهو العلي العزيز العظيم، وهم كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المنافقون ٨، كيف يعنور همهم العلية فتور وقد أمدهم بروح منه! أو يشوب قصدهم إكراه وقد تولاهم جل جلاله! قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ البقرة ٢٥٧، فإذا حفظ الله القصد من أن يمازجه الفتور، ورقى المتمكن من تلك المنزلة، نازعه العلم فقام مجاهداً الجهاد الأكبر، حتى يتخلى قصده من منازعات العلم.

وقد سبق لى بيان أن العلم له منازعات، ربما أوقفت المتمكن في سيره، لما ينكشف له بالعلم في المقامات من أنوار الأسماء والصفات، الحاجة للآيات والكائنات، قد بينها الله في صريح الكتاب، فتحصل المنازعة بين العلم والقصد، فإن القصد كما قررت لك، لا بد وأن يكون بين قاصد ومقصود، والعلم إذا وقع بالمتمكن على عين اليقين، أو حقه سترت أنوار الأسماء ما سوى الحق، قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ فصلت ٥٣.

فإذا أسبلت تلك الستارة بصولة الحق على الروح الملكية، حصلت المنازعة الكبرى بين العلم والقصد، فإذا حصلت المجاهدة الكبرى حتى يظهر القصد من منازعات العلم، أمد الله بروح منه، فشهد الحضرتين بالحضرتين، وتميز في عين سره المكاتنين، فكان عبد عبودة لذات الله، وصفا له نزله وطاب له وقته، وخلا حاله وصح مقامه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ آل عمران ١٠١، والله تعالى أسأل أن يمدنا بروح منه، وأن يهب لنا مشاهد المقربين وموارد المحبوبين ومنازل المرادين لحضرتة، الذين أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ الزخوف ٦٨.

وقد بينت لك في تراجم الرجال نبذاً من أنواع التهذيب، لتعلم أنها سنة أئمة الطرق الماضية، ولا أحظر عليك أيها المسترشد أن تجاهد نفسك بنوع من التهذيب، لا تتعدى بها الحد الوسط، ما دمت لم تجد المرشد الكامل، الجامع بين روح الشريعة وظاهرها، والعالم بطرق تزكية النفوس وتهذيبها، فتأدب له واعرض عليه أحوالك جمعيتها، وأمراضك خفيها وعلنها، فإنه هو الطبيب الرفيق العالم بالسبل التي توصلك إلى الحق جل جلاله.

هذب النفس إذا رمت الوصول
حصل العلم بعزم صادق
علم النفسى بتوحيد العلى
حصل الأحكام بالقدر الذى
حسن النيات وانهج نهج ما
صاحبين أهل التقى والزهمو
وادخلن حصن الشريعة واهجرن
واصطف الرؤف الرحيم اسع إلى
سلمن للمرشد الفرد الذى
رتل القرآن وافقه آيه
آثر الآخري على الدنيا عسى
وازهدين فيما يزول مسارعاً
أخلصن لله قلباً وقالباً
بر أصليك الكريمين ارجمن

غير هذا عندنا غير الفضول
لا تكن بالعلم كسلاناً ملول
من بيان الآى عن فرد فضول
يقتضيه الوقت لا قال يقول
صح بالإسناد تحظى بالقبول
واتبعن نور الهدى فعل الرسول
كل مفتون ومغرور جهول
من يزكى النفس عنه لا تحول
يحفظ الآداب حفظاً للأصول
وافقهن سر الإشارة والفضول
يقبل الله فتحظى بالوصول
بالذى يبقى بأحوال الفحول
واسألنه الفضل منه والقبول
كل فرع منها عند المحول



الباب الرابع

مقام اليقظة

قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ الأعراف ٢٠١، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ النساء ١٣٥، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ وَفَرَادَىٰ﴾ سبأ ٤٦، وقال سيدنا علي رضي الله عنه: (الناس نيام فإذا ما ماتوا انتبهوا).

اليقظة: قومة القلب من نومة الغفلة عن النشأة الأولى، ومن رقدة الجهالة بالنشأة الآخرة، وتدعو إليها أمور:

أولها: ما يجعله الله للعبد من نور الفكرة وضوء العبرة.

ثانيها: الهمة الباعثة على طلب بيان سبل الله تعالى.

ثالثها: وجود الدال على الله تعالى بالعلم والحال والعمل، وهي أساس اليقظة، ومتى توفرت تلك الأمور انجذب القلب بكليته إلى جانب الحق، متجافياً عن جانب الغرور، وحصل له روع شديد مشوب بحزن، أما الحزن فلما فرط فيه، وأما الروع فالخوف من أن يفوته قصده، فيسارع إلى طلب الرفيق في الطريق، وطلب المرشد المذكر للنفس بما كانت عليه من البهجة في فردوس الله تعالى الأعلى، وللحس ما كان فيه من المسرات، وللنفس ما كان فيها من محبة الله، والبهجة بسماع الحكمة الروحانية، حتى أهبط إلى الأرض فنسى أو تناسى، فإذا ظفر بهذا المذكر تذكر فذكر، فإذا ذكر تصور، فإذا تصور ما كان عليه اشتاق إليه وسارع إلى نيئه، وبذل لذلك ما يفنى حفظاً على نيل ما يبقى.

اليقظة عند السالكين

اليقظة عند السالكين هي رعاية القلب نعم الله المتوالية عليه وفيه وحوله، مما عجز العالمون جميعاً عن حصرها، حتى تتضح له حقيقته بدءاً وختماً، وما أعده الله له بما لا بقاء إلا به، فإذا تحقق بهذا تيقن التقصير عن استيفاء حقها، ففرغ قلبه إلى تحصيل علم المنة بها

عليه، فإذا تبين له وجه المنة عليه بها من الله تعالى، تحقق فضل الله العظيم عليه، ولديها تظهر له معالم الجناية منه وظلمه لنفسه، ويتمثل الخطر المحيط به لتمتعه بنعم الله ظاهراً وباطناً، وتقصيره في الشكر، أو استعمالها في غير ما وضع الله لها، وفي هذا الحال المزعج يسارع بعزيمته ليتدارك ما فاتته، واستبدال ذلك بمحباب الله ومراضيه بقدر استطاعته، حتى يتفضل الله عليه بأن يخلصه من رق الجناية، ويهب له النجاة بتمحيصها، وهي اليقظة عند السالكين، ومتى ذاق السالك هذا الشراب صحت بدايته، ومتى أشرقت عليه أنوار مطالعة الجناية فهو الواصل.

اليقظة عند الواصلين

واليقظة عند الواصلين جولة الفكر في عظيم الفضل وجميل النعم، وبتوالى الغفلة يشند الخوف من الجناية ويعظم، حتى يجذب السالك الواصل بكليته إلى التخلي عما يغضب الله، ويولى وجهته بكليته إلى محاب الله ومراضيه، ليمنحه الله التخلية في حالة التجريد، مشمراً لتدارك ما فاتته من المسارعة إلى مغفرة من ربه، وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، ليمن الله تعالى عليه فينجيه من الجناية، ويفك رقبتة من ريقها، ويتفضل عليه بالعفو عنها بعد تمحيصها، ويكون ذلك باعثاً على القبول من الله تعالى إذا صدق حال عزمه وقصده، فعظم الحق سبحانه بعد معرفة نفسه، وتصديق وعيد الله تعالى، وسهل عليه خرق العادات، حتى يكون عابداً لا معتاداً، فإن العادة قد تلتبس عليه بالعبادة، وكل من صلى غير ملاحظ بقلبه حكمة الأعمال، وعظمة من وقف بين يديه، فصلاته عادة لا عبادة، وهكذا جميع الأعمال، ولا تكتب له عبادة إلا إذا حصلت له رعاية الحق سبحانه وتعالى فيها، وكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وكم من قائم وساهر ليس له من قيامه وسهره إلا التعب والسهر، وإنما تكون العبادة حققة إذا أشرقت على القلب منها أنوار العرفان، وسطعت عليه صولة الخشية من الحنان المنان.



اليقظة عند أهل التمكين

اليقظة انتباه القلب بعد العلم اليقيني بالثواب والعقاب، وبالزيادة من العلم والعمل، رغبة في المسارعة إلى الخير، وللمحافظة على الأيام، خوفاً من تضييعها فيما يوبق، أو خلوها مما يرفع القدر عند الله تعالى شحاً لأوقاته ليتدارك ما فاتته، ويعمر ما بقى من عمره بما ينجيه من العذاب.

واليقظة سلم الفوز وباب الإقبال، وهي أساس السالكين، ومن لم يفتح سلوكه بها فسيره على حرف، ومتى صحت اليقظة صح سلوك السالك، وداوم إقباله على الله تعالى، ومن نزل في منازل السلوك من غير اليقظة نام في سيره، أو التفت عن المنهج وما فترت همة سالك في الله تعالى إلا لأنه افتتح سيره من غير اليقظة، فإن اليقظة إذا حلت في القلب لم تقف همته دون قصده، ولكل سالك في نزل من منازل السلوك قصد، يجب أن يفرد دون غيره بالإرادة، ومن شاب قصده شوب الأغيار، استعلى عن القصد، فنسيه السالك أو تناساه، وصار معتاداً لا عابداً، والله سبحانه وتعالى أسأل أن ييقظ قلوبنا من نومة الغفلة، ورقدة الجهالة، وأن يمنحنا الهمة العلية، والفضل العظيم إقبالاً عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين.



الباب الخامس

الرعاية

قال الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ الحديد ٢٧، وقال ﷺ: (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة المحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن).

الرعاية نظر بعين القلب إلى مقلبه، ينتج منها ملاحظة الأعمال والأحوال والأوقات، ملاحظة تجعل السالك يحافظ على الفرض والنفل، لشهود أنه ما قام به بالنسبة لمن قام له

سبحانه، ثم يقرب من قرباته لشهود أنه ما قام به إلا بمعونة من الله، وتوفيق وهداية ومراقبة أن تلك القربات هل قبلت أو ردت؟ والرعاية عندهم في الأعمال والأحوال والأوقات.

الرعاية عند السالكين

رعاية الأعمال: حفظ من الله للعبد بعنائه - تعالى - وتوفيقه، وغاية الأعمال احتقارها بعد القيام بها، إجلالاً لمن قام له بها سبحانه فيكون بذلك أحياء ونهاها، لأن الله تعالى يقبلها ويضاعفها، ثم تأديتها على الوجه الأكمل، غير ناظر إليها، وعملها على طبق العلم والأثر بالإخلاص، لا متزیناً بها، فإنه بذلك يكون كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ النساء ٦٩، ومن تشبهه يقوم اتصل بهم.

الرعاية عند الواصلين

رعاية الأحوال: أن تشرق أنوار الحق في أفق قلب العبد، فيرى النقائص في أعماله، حتى يشهد الاجتهاد رياء، لأن أحداً لا يقدر قدر الله تعالى، ولا يقدر قدر الإخلاص لذاته، ولا يقدر قدر القيام بأحكامه، ويشهد ما يطمئن إليه من اليقين تشيعاً، ويعتقد أن ما يعرفه من الأحوال القاهرة دعوى لا حقيقة لها، حتى يكون قاهراً لنفسه، محترقاً كل ما يورده على ربه، متحققاً بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ النجم ٣١-٣٢، وليس المراد بكثرة العبادة والتجمل بالحال نسيان يوم الحساب، ونسيان القوى المتعال، بل المراد من ذلك كله القرب منه جل جلاله، وكلما قرب العبد من الحق، كلما شهد عزيزاً وعظيماً وجليلاً وقهاراً ومنتقماً وقوياً وكبيراً ومتعالياً، ومن كانت عباداته وأحواله منتظمة في عين نفسه، وتجعله يحتقر غيره، فقد بعد عن الله بعمله وحاله.

الرعاية عند أهل التمكين

رعاية الأوقات: بمراعاة مقتضى الوقت في كل حركة وسكنة، وهمة ولة، ونفس ولحظة، حتى تكون الأنفاس عامرة بالشهود والمراقبة، مع ملاحظة كمال الأدب في الوجود والمحاضرة والغيبة، عما كان منك له سبحانه والشكر لما كان منه سبحانه لك حالة الصفا، مع المحافظة على الرسوم، والفناء عن شهود الصفو إقبالاً على من منه وبه سبحانه وتعالى الصفا.

ومعنى قولهم: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك. أن لكل وقت حكماً لازماً، وشكراً واجباً، ونوافل مرغباً فيها، فمن عمر الوقت بمقتضاه قطع الوقت الذي هو بينه وبين ربه، فاتصل بالحق اتصالاً بعمله بأوامره واتباعه لوصاياه، واقتدائه بأئمة الهدى.

رعاية أهل القرب في القرب إظهار
يراعون غيب الغيب في حظوة الصفا
فيدعون رغباً ورهبة في شهودهم
وفي حال محو البين لا قرب عندها
يظللنى بجماله في تقربى
أكون أنا المقدر أشهد قادراً
تلوح لى الأسماء فى سدرتى التى
وسورى رمز المثنوية حاجب
وقد كنت فى تيه الرسوم كأننى
أرانى بعين الحسن تخفى حقيقتى
لأعلم قدرى فى معالم رتبتى
وما بين عين بصيرتى وجوارحى
إذا أنزل الله القريب سكينه
فتكسر صولته نعم قلب آله

مقام به شمس الحقيقة إسفار
رعاية رهبوت به الجهر إضمار
ولا بين والمشهود فى القرب أنوار
ولكن رسم العبد يخفه ستار
فأخفى ويظهر قادر غفار
ومن صور القدر العلى فكفار
تحيط بها فى حالة المحجب أسوار
إذا فك هذا الرمز تظهر أسرار
خفى جلى والمشاهد أطوار
وأشهدنى ظلاً ونوراً ولا نار
وأعلم عجزى باليقين فأحترار
خلاف تجاوزه مراد ومختار
بها جبر كسرى والمقدر جبار
يكون نعم عندى ولى وستار

الباب السادس

مقام المراقبة

قال الله تعالى: ﴿فَأَرْقُبْ إِنَّمُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ الدخان ٥٩، وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الحديد ٤.

وسئل عليه السلام عن الإحسان فقال: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

معلوم أن المراقبة تورث المراقبة، والمراقبة تورث خلوص السر والعلانية لله تعالى. المراقبة هي مراعاة السر لملاحظة الحق سبحانه مع كل خطوة. علامة المراقبة إيثار ما آثر الله تعالى، وتعظيم ما عظم الله تعالى، وتصغير ما صغر الله تعالى.

المراقبة عند السالكين

استحضار معاني صفات الحق حال السلوك بما فهم من العلم النافع، استحضاراً يجعل لطائف القلب محل استجلاء تلك الأنوار، حتى تقوى المراقبة بموجب التعظيم المدهش للسالك، والمجذبة الحاملة له على التخلي عن سوى الحق سبحانه وتعالى عند شروق وميض الجلال، والبهجة حال الإقبال بشميم عبير الجمال، فيكون السالك في المراقبة بين ذهول من العظمة، وإقبال من المجذبة وبهجة بالأنس بالاستجلاء.

المراقبة عند الواصلين

إشراق نور العلم لأن الله يراك وإن لم تكن تراه، فتقوى دواعي المراقبة الموجبة للتجمل بحلل العبادة للحق جل جلاله، وينتج عنها بواده ترد من حضرة القدس، تجعل المراقب يتحلى ببعض أحوال مقام الرضا، فيتخلي عن المعارضة في الشئون، وعن الاعتراض في المقدور، والمعارضة والاعتراض عندهم شهود استحقاق العبد حقاً على الله تعالى، وهذا من جهل السالك بنفسه، وليس منها التملق والتبتل والابتهاال والتضرع والدعاء لكشف الكروب، وإزالة الخطوب، وجلب الخيرات، ودفع البليات، فإن ذلك من معرفة السالك

بنفسه، لأنه إذا تحقق بعجزه عن دفع ما يضره، وجلب ما ينفعه، كان من أهل مشهد لا حول ولا قوة إلا بالله. وأهل هذا المشهد الدعاء عندهم هو مخ العبادة لأنهم يسألون الله تعالى لا لأن الله يجهل حالهم سبحانه، ولا لأنه بعيد لا ينبه إلا بالدعاء، بل يسألونه سبحانه ليتجملوا أمامه جل جلاله بما يحبه سبحانه منهم، من الذل والخنوع والخشوع والرجاء والرغبة، واعتقاد أنه سبحانه وتعالى المنفرد بالإيجاد والإمداد، والإعطاء والمنع، فيكونون في هذا الحال في مواجهة رب كريم، معط منعم متفضل، وبذلك يحصل لهم القرب المعنوي، الذي به يستجلى لسرهم سر المعية من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ النحل، ١٢٨.

ولذلك فإنهم يتكلمون معه، كما يتكلم المتكلم مع القريب منه الجالس معه. وفي مقام الدعاء قد تتجلى أنوار ﴿كُنْ﴾ فتكون الإجابة أقرب للداعي من ارتداد طرفه، كما حصل لأصف بن برخيا، عندما أحضر صرح بلقيس. ولا يكون ذلك للداعي إلا إذا كان عنده علم من الكتاب، يجعله يتجمل بأداب العبد أمام الرب جل جلاله، ولديها تحصل مواجهة معاني العبد بمعاني حضرة الرب، وتكون الأسماء المواجهة للعبد، المقتضية إغاثته، وتيسير حاجته، أقرب إلى العبد منه، حتى يكون سر اتحاد من مضمون علم ﴿أَهْمَ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الزمر، ٣٤.

فإن العبد في حال تجمله بحقيقة العبدية، فتكون مشيئته بسر ﴿كُنْ﴾ بحقيقة الاتحاد الكشفي في مقام رفع الحجاب، عند التفضل عليه بالعندية. وهناك سر آخر من مضمون الاستجابة، وهو أن العبد عند تجمله بمعانيه، وإشراق أنوار الربوبية عليه، ينكسر قلبه فيكون الله عنده، ومتى كان الله جل جلاله عنده، كانت ﴿كُنْ﴾ أيسر ما يعطيه الله جل جلاله، قال ﷺ: يقول الله تعالى: (أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي). وهذا هو سر الله الأعظم، الذي إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى. ولما كان الوهاب الكريم لا تقف مواهبه على أهل الخصوصية من كُمل الرسل، فإنه كما وهب لرسله ما تعلمه من فلق البحر، وإحياء الموتى ونبع الماء، وشق القمر، وقد وهب للصديقين من أتباعهم ما تعلمه من إحضار صرح بلقيس، وإيجاد الفاكهة في غير أوانها للصديقة مريم.

وكم أكرم أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم إلى يوم القيامة بما لا يمكن أن يتصوره العقل، فضلاً من الله، يتفضل به على أحبائه إكراماً لرسول الله ﷺ ولا تعجب يا أخي فإن

الله جل جلاله أخبر في القرآن أنه يستجيب لعباده الصالحين، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ الشورى ٢٦، أى ويستجيب الله للذين آمنوا.

المراقبة عند أهل التمكن

تزكية النفس من موجب التعرض لنيل غير فضل الله تعالى ورضوانه، وذوق أسرار التوحيد ذوقاً يجعله دائم الرهبة من سر السابقية أزلاً، حتى تكون أحواله محصنة بحصون الهيبة، فلا يأمن المكر، وشهود عجائب الحكمة، وغرائب القدرة من شأن الأبد شهوداً يجعل صاحبه لا يغيب بالأبد عن الأزل، ولا يحصل له لبس من خلق جديد، ثم يغيب عن المراقبة بالرقيب، ليكون من المخلصين في معاملة الحبيب.

ولما كان لا بد لأهل الطريق في بداياتهم من تنبيههم ليقظة القلب بالمراقبة، كان لا بد في البداية من استحضار المرشد، استحضاراً يجعل صورته ترسم على لوح الخيال، بالمعاني الفاضلة، التى جملة الله بها، من الاستقامة، والمسارعة إلى تأدية الواجب والنفل، وجميل الأخلاق والتواضع والزهد، حتى تكون تلك الصورة مواجهة لقلب المريد السالك.

وهى فى الحقيقة محبوبة له فى بدايته، حباً يجعله يسارع إلى التشبه به فى جميع شئونه، فتتمو فى قلبه أحوال المراقبة، وقد تقوى مراقبة المريد للمرشد، حتى تنتقش صورته على لوحة الخيال نقشاً، فلا يغمض عينيه إلا ويراه، ومن بلغ من المريدين هذا المبلغ، دل ذلك على أنه مؤهل للرقى على معارج أهل الشهود، ومن المريدين المخلصين من يشهد الأستاذ وهو فى اليقظة بعينى رأسه عند المقتضيات الداعية، لأن صورته منتقشة على الخيال، ولطائف قلبه مراقبة، فعند تقلب قلبه فيما يحبه الله سبحانه أو يكرهه الله سبحانه تنتبه لطائف القلب، فتشهد البصيرة صورة الإمام المرشد فى لوحة الخيال، فتنفذ أشعتها إلى البصر، فتحجب المشهود عنه، ويرى كأنه مع الأستاذ فى مكان واحد، ومأخذهم فى ذلك، تفسير بعض أهل العلم لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَتَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف ٢٤، أن سيدنا يعقوب دفعه بيده. وما ورد عن بعض

أئمة الطريق، أنه وقف أمام الروضة الشريفة، وقهره حال المحبة والوجد، حتى تجرد عن حسه، فشرفه رسول الله ﷺ بيده الشريفة فقبلها، والأمر روحانى، ولكن حجت أنوار الروح الحواس، وشهد في حضرة إطلاق.

وإن ثبت أن الحاضرين رأوا ذلك حساً، فإن حال المرشد قهرهم، حتى غابوا عن حواسهم، وحضرة الإطلاق ليست حظراً على أحد شهد أحوال المرشد الكامل، فإن السباع والطيور كم قهرت بأحوال الرجال، فإذا كانت الحيوانات تقهرها أحوال الرجال، فكيف بالأناسي؟! فمراقبة المريد في البداية تنمو بها قوة اللطائف للمراقبة، فينتقل من مراقبة الأستاذ إلى مراقبة حضرة رسول الله ﷺ، والأستاذ المرشد الكامل هو الختم، أو الصورة المحمدية الكاملة للمريد، والأمن الروحانى للسالك، فإذا تحقق بمراقبته، ورقاه الله إلى مراقبة حضرة رسول الله ﷺ أمكنه أن يتخيله ببعض معانيه ومبانيه صلوات الله وسلامه عليه. لأن السالك لا يقوى على استحضار المعانى والمباني المحمدية في حال من الأحوال، بل ولا يقوى على استحضار ختم العصر معنى ومبنى، فكيف يقوى على استحضار تلك المعانى المحمدية العلية؟ فإذا استحضر بعض تلك المعانى سارع إلى كمال الاتباع، وحفظه الله من الابتداع، وترقى إلى أن يكون من أهل معية رسول الله ﷺ بجمال أوصافهم التى ذكرها الله في آخر الفتح، وإذا قويت روحانيته حتى شرفه الله باستحضار تلك المعانى المحمدية، وأعانه سبحانه وتعالى بهدأيته وتوفيقه للاتباع لحضرتة، وجملة بأوصاف أهل معيته عملاً وحالاً وخلقاً مَنْ عليه بوميض أنوار المواجهة، وحصلت له مراقبة الله تعالى في ظاهره وباطنه، واتصلت روحانيته بالروحانيات العاليات، وسبحت روحه في الملكوت الأعلى، واقتبس في مقام فنائه في المرشد الكامل من مشكاة الأنوار المحمدية، حتى تنبعث في قلبه أنوار الإلهام، وأسرار القرآن، ويكون لسان بيان، وحال تمكين وإماماً للمتقين. وسأبين بياناً مُفصلاً في مراقبة أهل طريقنا، عند ذكر خصوصيات هذا الطريق في باب خاص.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يهدينا صراطه المستقيم وأن يجعلنا بجمال أهل معية حبيبه ومصطفاه ﷺ، وأن يعيذنا بوجهه الجميل من الجلال كله، ومن المعصية وأسبابها إنه مجيب الدعاء.

راقب الله إن خلوت رقيباً
من يرى خلوة يمت في هوان
راقب الله إن خلوت تحصن
كيف أخلو والله جل عليم
ويل نفسى جهلت آية ربي
آى ﴿مَجْوَى ثَلَاثَةَ﴾ فاقراها
تب إلى الله نادماً من شهود
واشهدنه في خلوة في اجتماع
تب إليه تراه رباً مجيباً
يفعل الشر والخنا والعيوباً
بالقرآن المجيد تحيا منيباً
بخفايا النفوس جل رقيباً
قد تلاها الأفراد تنبى الأديبا
لا تقل خلوة تراك مصيباً
خلوة في الوجود تحيا مهيباً
تعط خير الدنيا تنال الغيوباً

الباب السابع

مقام الإخلاص

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ الزمر ٣، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ البينة ٥.

وقد ورد خبر مسند أن النبي ﷺ أخبر عن جبريل عليه السلام عن الله سبحانه وتعالى أنه قال: (الإخلاص سر من أسرارى استودعته قلب من أحببت من عبادى).

وقال الإمام القشيري: (الإخلاص أفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه دون شئ آخر، من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمداً عند الناس، أو محبة مدح من المخلوق، أو معنى من المعانى سوى التقرب به إلى الله تعالى).

وقال الأستاذ أبو علي الدقاق: (الإخلاص: التوقى عن ملاحظة المخلوق، والصدق: التنقى من مطالعة النفس، فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له).

وقال أبو يعقوب السوسى: (شهدوا في إخلاصهم الإخلاص، واحتاج إخلاصهم إلى إخلاص).

وقال أبو عثمان المغربي: (الإخلاص ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال، وهذا إخلاص

العوام، وأما إخلاص الخواص فهو ما يجري عليهم لا بهم، فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل، ولا يقع لهم عليها رؤية، ولا بها اعتداد، وذلك إخلاص الخواص).

وقال أبو بكر الدقاق: (نقصان كل مخلص في إخلاصه رؤية إخلاصه، فإذا أراد الله تعالى أن يخلص إخلاصه، أسقط عن إخلاصه رؤيته لإخلاصه، فيكون مخلصاً لا مخلصاً).

وقد ألفت في كتاب "معارج المقربين" إلى الإخلاص بمثل يذوق منها أهل الذوق مقدار ما يجب عليهم لله جل جلاله، استحسنت أن أفصل الموضوع تفصيلاً يشفى غليل السالك المخلص في طلب الحق جل جلاله.

الإخلاص عند السالكين

تجريد العمل من رؤيته، لأن من رأى عمله لم يخلص فيه، لأنه لو أخلص فيه لرفعه الله إليه، ولو رفعه إليه لن يراه قال الله تعالى: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فاطر ١٠، فمن عمل عملاً ورآه، دل ذلك على عدم قبول الله له، ثم يتخلص من طلب الجزاء على العمل، فإن السالك إذا عمل عملاً لينال به جزاء، كان مشركاً شركاً خفياً، والمشرك لا يكون مخلصاً، وهل طلب الله منك جزاء على ما تفضل به عليك حتى تطلب منه عوضاً بعملك أيها السالك؟ ومن طلب من الله عوضاً بعمله كان أجير سوء، ثم يتخلى عن الرضا بعمله، لأنه إنما يعمل ليرضى ربه، لا ليرضى نفسه عن عمله، ومن عمل متلذذاً بالعمل، راضياً به واقفاً عنده عمل لغير الله.

هذه المعانى من دسائس النفس ورعوناتها، وكل سالك لم يجاهد نفسه أشد المجاهدة، ليتخلص من تلك الدسائس لم يكن سالكاً على الطريق المستقيم، ولكنه سالك في حظ نفسه قال الله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ غافر ١٤، فكل أعمال السالك إذا تجردت من الإخلاص، ردت عليه وكانت عقوبة له يوم القيامة.

الإخلاص عند الواصلين

التحقق بالعجز عن القيام بما يجب، مع بذل قصارى الجهد في العمل الصالح، والخوف من رؤية العمل خشية من الوقوع في الشرك الخفى، ثم شهود المنة من الله على العبد العامل،

والتحقق بأن العمل بنور التوفيق، والعناية والهداية الإلهية، فيكون وهو في العمل مشاهدًا لمنة الله العظمى عليه بالعمل، ملاحظًا أنه عاجز عن شكر الله على ما منَّ به عليه من التوفيق بالعمل، لأن العمل أعظم نعمة من الله يجود بها على العبد الواصل، فيشهد العمل فضلاً من الله عظيماً عليه، حيث وفقه وأعان، وهداه وأقامه مقام العاملين المخلصين لذاته الأحدثية، وأى فضل أعظم من هذا الفضل في تلك الدار الدنيا؟

تنبيه

قد تشرق أنوار التوحيد على المخلص في سلوكه، فيرى أنه عند قيامه للعمل لا يمكنه الإخلاص لله كما يجب، ويتحقق أن العمل ربما أوقعه في الشرك لتشبه العمل إلى نفسه، فتزعج نفسه الطيبة، ويخشى على نفسه دخول آفات الشرك عليه، فتعلوه الحيرة، لأنه يصير بين أن يعمل عاجزاً عن الإخلاص الكامل، فيكون مشركاً لنسبة العمل لنفسه، أو يترك العمل خوفاً من الشرك الخفى، فيكون مخالفاً للحكم الصريح الجلى، وهذه الحيرة هي عقبة الواصلين، ومتى اقتحمها فك رقبته من قيود أسفل سافلين، لأن مشاهد التوحيد تجعلهم لا يشهدون إلا الواحد الفاعل المختار، ومشاهد التقييد تجعلهم يشهدون أنهم مكلفون أن يقوموا لله بما أوجب، ولم يفتق رتق الكائنات أمامهم، حتى يتحققوا بأنوار مشاهد التوحيد من عين اليقين فتعتورهم أحوال تذهل العقول وتحير الألباب، وتكون لهم إشارات ترمى إلى فناء كل ما سوى الحق، وإلى قيام كل شئ بقيوميته سبحانه ولم تعتورهم هذه الأحوال، إلا لأنهم لم يسلكوا الطريق على يد المرشد الكامل، لأنه سكينته للقلوب وطمأنينة لها، وإنما ينتشل الواصل من تلك الوحلة، بأن يتحقق أن تلك المشاهد مشاهد روحانية، لا حكم لها على مقتضى البشرية، وأن للجسم أعمالاً خاصة به، وللأرواح وللقلوب أعمالاً خاصة بها، فلا أعمال الأرواح تسقط أعمال الأشباح، ولا أعمال الأشباح تسقط أعمال الأرواح، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ الصافات ١٦٤، فإذا تحقق الواصل بتلك الحقيقة، أقام الجسم حيث أقامه الله، وسارع إلى تنفيذ أوامر الله، بمعونة وتوفيق الله، وبعض السالكين قد يسمع إشارات الواصلين بلا ذوق ولا تمييز بين الرتبين، فيقلد إشارات الواصلين، بلا ذوق ولا تمييز بين الرتبين، فيقلد السالك الواصل تقليد استسلام، وهو نهاية الجهل بطريق الله، فإن للسالكين مشاهد عن علم اليقين، وللواصلين مشاهد عن عين اليقين. فالواجب على السالك

أن يقف عند العلم مهما كانت إشارات أهل الوصول، حتى يصل إلى مقامهم العلى، وتصل عليه صولة الحق، وتجول عليه جولة المقتضيات، ولديها يكون غير مقلد، والتقليد في طريقنا هذا ضلال، وإنما الحجّة القائمة أمام السالك هو المرشد الكامل المتمكن، فمن التفت عنه في سيره ضل وهلك، وإن كثيراً من السالكين يميلون إلى الذين اختطفتهم العناية من أهل الجذب فيقلدونهم، فيضلون، وليس المجذوب إماماً للمتقين، وإنما هو رجل اختطفته العناية من الأزل، ومن اقتدى بالمجذوب في سيره، لم ينتفع بحال من الأحوال، وليس من تعلم العوم، وتمرن عليه، حتى أمكنه أن يخوض عباب البحر، كمن تربى بالبادية، فلو قلد وألقى بنفسه في البحر أهلك نفسه، فالواجب على السالك أن لا يلتفت عن المرشد الكامل، خشية على نفسه من الهلاك. والله تعالى أسأل أن يحفظنى وإخوانى من التقليد في طريق الله تعالى إنه مجيب الدعاء.

الإخلاص عند أهل التمكين

هنا ينبغى أن أمسك القلم عن البيان إلا بقدر معلوم. الإخلاص عندهم شهود معانى تجليات الأسماء والصفات حال العمل، وإشراق أنوار المواجهة بتمييز الحضرتين بعد العمل، ليكون الإخلاص خلوص العمل من الإخلاص فيه، بالفرار من رؤية الإخلاص في حال التحقق به، فإن رؤية الإخلاص توجب الشوب في شهود التوحيد بالتوحيد، لما يترتب عليها من إثبات الإخلاص للعامل، ونسبة العمل إليه، وهو الشرك الأخرى عنده، لأنه يؤدى إلى نسيان الواحد الفاعل المختار، ونسيانه يؤدى إلى نسيان النفس. قال الله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ الحشر ١٩، ومعنى ذلك عندهم، أن المخلص إذا شهد الإخلاص، وشهد العمل، نسي المتأن الموفق الهادى المعين، ومتى والعياذ بالله نسيه أنساه الله نفسه، ومعنى أنساه نفسه: أى أنساه حقيقتها من العدم، والذل، والعجز، والضعف، وباقى معانى العبدية، فإذا نسى نفسه أعادنى الله وإخوانى المؤمنين، أثبت لنفسه صفات الحق، فصار فرعون زمانه، إما بالغرور ظاهراً، وإما بالشرك الأخرى، وأهل التمكين أصحاب نفس، والسالكون أصحاب أحوال، والواصلون أصحاب وقت، وحصن الأمن لأهل التمكين، إن لم يكونوا فى صحبة الوارث المحمدى، كتاب الله تعالى وعمل رسول الله ﷺ، فيها يذوقون مشاهدتهم، فإن وافقت الكتاب والسنة، فمشهد حق بحق، وإن خالفت الكتاب والسنة، فمن لمة

الشیطان، وكل شهود عندهم یخالف كتاب الله وسنة رسول الله كفر وضلال.

وإنی أضع ضابطاً لأهل التمكين، به يدفع الله عنی وعنهم شر الوسواس الخناس، من شياطين الإنس والجن، وهو یسير فی عمله سیر العلم، ویشاهد العامل فی سیره الحكم، حتی یكون حراً من رق الرسم، عبداً صرفاً لذات الله تعالى، مشهده الحكم، اقتداء بالسید الأکمل ﷺ لتتمیز الحضرتان، وسیره العلم، لیحفظه الله تعالى بالعلم من الشرك الخفی والأخفی، وهذا من أذعیاء الطریق من یكون مشهده العلم، فیهدم أسوار الشریعة، ویستظهر علی حضرة رسول الله ﷺ، وهم الذین استهوتهم الشیاطین، كما قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة ١١٣، فإذا اشتدت الحيرة، حتی همدت نار البشرية، وتطهرت النفس من دخان الإبلیسیة، تحقق أهل التمكين بحق الیقین، وصار الحق معالم بین أعینهم، ویخلصون من الإخلاص بترك الإخلاص، قال ﷺ: (والمخلصون علی خطر عظیم). ولا ینجو من الإخلاص إلا من تخلص بالإخلاص منه، وهو مقام قوله ﷺ: (إن لله عباداً تركوا حظوظ أنفسهم، ثم تركوا الدنیا، ثم تركوا العقبی، ثم تركوا الرؤیا، ثم تركوا الشهود، ثم تركوا الترك).

أسأل الله تعالى أن یحققنی وإخوتی بحقیقة الإخلاص له تعالى به، حتی نفنی عن شهود الإخلاص، بشهود الفاعل المختار، الهادی، الموفق المعین، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلی العظیم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مقام أولى الإخلاص خشية مولاہم	لذاک تراه بالحقیقة أولاهم
ورأيت من نظر الحقیقة تنجلی	بجوهر إحسان المشاهد
وأهل الفنا فی الله من عرفوا به	وذاقوا شراباً فی الحقیقة أعلاهم
رأوه بأوصاف تجلت فأیقنوا	بأسماؤه الحسنی وبالقرب ملاهم
وأهل مقام الفرق قد تکملوا	بنور الهدی شرع الشریعة مجلاهم

الباب الثامن

مقام التوبة

قال عليه السلام: (الندم توبة)، وقال عليه السلام: (إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب).

والتوبة هي الندم والاعتذار، أو الإقلاع. ومتى شعر التائب بالمعاني الآتية تحقق أن الله سبحانه وتعالى تاب عليه، وهي:

أن يبلغ به تعظيم الجناية، واتهام النفس، وطلب الاعتذار عن الخطئين، مبلغاً يشهد فيه بلاء انخلاعه عن العصمة حين إتيان الذنب، وسوء فرحه عند الظفر، وشؤم قعوده على الإصرار، عن تداركه واعتقاده أن الحق ينظر إليه.

نيل أنوار التوبة

ونيل أنوار التوبة بثلاثة أشياء: أن يميز بين داعي الحق الجلي، وأن ينسى الجناية، وأن يتوب عن التوبة أبداً، لأن أكمل تائب داخل في قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ النور ٣١، فقله تعالى ﴿جَمِيعًا﴾ شملت كل مؤمن، مهما بلغ من مقامات اليقين.

مشاهد أهل الصفا في التوبة

ولأهل الصفا مشاهد عليية في التوبة يقوى بها اليقين، ويحلو بها التمكين، ويصفو بها الوقت، ويحلو الحال... مصدرها الجناية، فإنه يشهد مراد الله تعالى في وقوعه فيها، حين أسبل عليه الستر عند إتيانها، فإن الله يستر العبد عند وقوع الذنب، ليشهده سبحانه وتعالى بعد التوبة عزته في تنفيذ قضائه، ولطفه في ستره عليه، وحلمه في إرجاء العقوبة عنه، وفضله العظيم في قبول المعذرة منه، وكرمه العميم في معرفته، هذا بالنسبة لمن سبقت لهم الحسنى، أما من لم تسبق لهم الحسنى، فإن الجناية لإقامة الحجة على العبد بعدله سبحانه، فيعاقبه الله سبحانه على ما جناه، وتكون له الحجة البالغة.



مشاهد التوابين

ومشاهد التوابين من العباد والنسك والزهاد، أن يعلم سوء فعله الذى لم يبق له حسنة بحاله، وهو طلب النصير الصادق في زعمه غير الحق، وبذلك يكون مسارعاً إلى مغفرة من ربه، وجنة عرضها السماوات والأرض، لسيره وسطاً بين مشاهدة المنة، والبحث عن عيب النفس، والعمل الصالح.

لطائف التوبة

ولطائف التوبة عند أهل مقام التوحيد بالتوحيد، من أهل الجمع المستغرقين في شهود وحدة الأفعال، أن شهودهم للحكم يجعلهم لا يستحسنون حسنة، ولا يستقبحون سيئة، لصعودهم عن جميع المعانى إلى معنى الحكم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ الأنعام ٥٧، فهم يتوبون عن كل أعمالهم بإخلاص عزم، وإقلاع حزم، فراراً من الشرك الخفى، ولا يتم مقام التوبة عند العارفين، إلا بالتوبة مما دون الحق، ثم بالتوبة من رؤية التوبة، ثم بالتوبة من التوبة ومن رؤية التوبة، بذلك يتحقق ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ البقرة ٢٢٢، ويذوق طهور قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ التوبة ١١٨، ويشهد نور قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الحجرات ١١.

أسأل الله أن يمن على وعليك أيها الأخ المقبل على الله بتوبة منه، وعناية وإقبال على حضرته العلية، إنه مجيب لدعاء.

هو التوب يصحبنى من البدء للختم
ولى توبة من توبتى حال جلوتى
فأحبس نفسى جاهداً ومشاهداً
فأسلم تسليماً له وبه ولى
وأسلم إسلاماً رضاء توكلاً
يخلقنى منه بأخلاقه التى
ولى فى مقامات اقترابى نشوة
نعم هو تواب يتوب أتوب من

أتوب إلى التواب من مقتضى ظلمى
أرى ترك تركى فى التجمل بالصوم
لتسكن للمولى المنفس بالسلم
مزاج من الإيقان فى الصفو بالعلم
له وبه حتى أجمل فى رسمى
بها حضرة الإطلاق قرب بلا إثم
أرى توبتى من توبتى بانمحا ظلمى
شكوكى وشركى باليقين وبالعزم

ولى حال تقريبي الإثابة مشهد
أنيب إليه من وجودى ومن أنا
به السمع والبصر الشهيدان والنهى
تلوح المعانى يخفى مظهر البها
أرى الغيب مشهوداً أرى المظهر الجلى



وجودى به عين الإنابة بالحزم
لديها أرى الوجه الجميل بلا غيم
فأسمع من فى اتصافى بالحلم
تغيب المبانى وى كأنى فى نوم
تستر بالأنوار لا لوم يا قومى

تحب التائبين اقبل متابى
وهب لى العفو واغفر لى ذنوبى
أنبت إليك مضطراً أنلنى
وعمر باليقين الحق قلبى
ويوم العرض بشرنى إلهى
وأنت الله تواب كـريم
لأفرح باللقاء أرى جميلاً
يواجهنى بأنوار التجلى
ويجعلنى له عبداً منيباً
ومقعد صدق فاجعله مقبرى
لديك مؤانساً بالوجه يجلى
ألح لى الغيب مجلى الذات نوراً
وسح بى فى العوالم حيث بدئى
أدر لى الراح بالعين امنحنى
أمتنى مسلماً والقبر فاجعل
غريباً صرت فى شيبى وسقمى
وفى شيخوختى جمل جميعى
أنا الخطاء فى شيبى شبابى
وأولادى وإخوانى امنحنهم

وأشهدنى جمالك فى اقترابى
وجدد بى الشهود اقبل إيابى
قبولاً فى حضورى أو غيابى
وبالرضوان منك اجعل حسابى
وأسمعنى السلام لدى الجواب
أعدنى بالجمال إلى ترابى
يدير على من صافى الشراب
يحملنى بنور الانتساب
تجمل بالعبودة فى الصحاب
لأحظى بالشهود لدى الجناب
لروحى باتحاد فى الرحاب
يضئ حقيقة هى من تراب
أعدنى يا معيد لدى اقترابى
جمال الاجتلا بعد المتاب
رياض الأنس فى حال اغترابى
وأنت ولى عبدك من شبابى
وأنسنى بلا قيد الحساب
وأنت ولينا حسن مآبى
جمال الاجتلا فضل انتسابى

الباب التاسع

مقام الصبر

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ النحل ١٢٧، أشار بفريضة الصبر بالأمر، ثم أشار بقوله تعالى: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ النحل ١٢٧، إلى خالص التوحيد في الشهود وصافي التجريد في الوجود، فإنه سبحانه وتعالى أوجده وكلفه، ثم أشهده وجوده به، وتوفيقه ومعونته على الصبر به سبحانه فكان صبره بالله، كما أن وجوده به جل جلاله، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ الطور ٤٨، فأمره سبحانه وتعالى بالصبر لحكم ربه سبحانه.

ومعلوم أن حضرة الربوبية تختلف بحسب مقامات أهل الشهود، ولما كان شهود سيدنا رسول الله ﷺ فوق شهود عالين، ودونه مشاهد الكروبيين، وبه ﷺ استمدت أرواح الرسل الكرام كان قوله تعالى: ﴿رَبِّكَ﴾ إشارة إلى أحدية الذات، في حضرة الطمس، والإشارة إلى ذلك بقوله سبحانه: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ النجم ٩، فإن قاب قوسين مشاهد أهل الخصوصية من أولياء الرسل و﴿أَوْ أَدْنَى﴾ النجم ٩، المشهد الخاص للمحبوب الأكبر ﷺ، وإلى ذلك الإشارة بقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ آل عمران ٨١، ولأهل الذوق من أئمة أهل الفرق الأخير، بعد الجمع الأخير، إشارات في هذا المقام العلي، لا يفقهها إلا ذو نفس تزكت قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ الشمس ٧-٩، والفلاح كما هو معلوم الفوز بنيل المقاصد، والمقاصد تتفاوت بحسب درجات القرب من الله تعالى، قال تعالى: ﴿هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ آل عمران ١٦٣، وليس من مقصده مكون الأكوان، كمن مقصده النعيم في الكونين، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ المجادلة ١١.

أنواع الصبر

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ النحل ١٢٧، إشارة إلى الصبر في الله على تحمل أعباء الرسالة وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ الطور ٤٨، إشارة إلى الصبر

الله في مقام حق اليقين، بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ الطور ٤٨، والحكم إما تقديري وإما تشريعي، وهذه الآية تدل على وجوب الصبر لحكم الله في الحالين، وإن كان المتبادر منها الأمر بالصبر على إمهال الله لأعدائه، مع دوام أذيتهم لرسول الله ﷺ، لأن ذلك حكم تقديري، لا مرد له من الله لحكمة اقتضتها كمالات الربوبية، سر قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ هود ١٠٥، ولا يتميز النوعان إلا بما أظهره الله تعالى من الشئون التي حيرت العقول، قال الله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْذُرُّ﴾ القمر ٥.

فإن الصبر بالحكم التشريعي مدلول عليه بالآية، فإنه مأمور شرعاً أن يدعوهم إلى الله، وأن يذكرهم بأيام الله سبحانه وأن يبين لهم سبله الموصلة إليه جل جلاله ولم تحصل منهم له العداوة والأذية، إلا لقيامه بالحكم الشرعي، فهو ﷺ صابر لقضاء الله وقدره صابر لأحكامه وشريعته، فظهر أن الصبر بالله سبحانه وأن الصبر لله والحكمه، وللصبر أنواع أخرى، وهي الصبر مع الله، والصبر في الله قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ الكهف ٢٨، فمن صبر مع الله كان الله معه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة ١٥٣. ومن صبر في الله اجتباه الله، والصبر في الله ثبات في الجهاد لإعلاء كلمة الله قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ الحج ٧٨.

وهناك صبر أهل الجهالة الذين أبعدهم الله عنه، وحرمتهم سعادة الدنيا والآخرة، وهو الصبر عن الله والعياذ بالله، ويكون عن الجهل بالتوحيد، وبنسيان يوم الوعيد، وبالغفلة عن العبر التي يشهدها الإنسان في كل يوم من تغير الدول وتحويل الأحوال، وتوالى الليل والنهار، وكيف لا وفي الإنسان شئون تذكره بربه، إن لم تكن في كل نفس ففى كل يوم، فيكون رضيعاً فصبياً فكهنلاً فشيخاً فهرماً، ويكون فقيراً فيصبح غنياً، ومريضاً فيصبح صحيحاً، ومن صبر عن الله وهو المضطر الفقير إلى الله تعالى، تعجل لنفسه نقم الله في الدنيا والآخرة نعوذ بالله، وقد يستدرج الله تعالى أهل الغفلة، حتى إذا أخذهم لم يفلتتهم.

جيش الحق وجيش الباطل

والصبر إقدام جيش الحق في الإنسان بثبات وعزيمة، على جيش الباطل فيه أولاً، ثم ثبات على مجاهدة نفسه في طاعة الله تعالى، والعمل بسنة رسول الله ﷺ، ثم ثبات في

مجاهدتها على ترك ما نهى الله عنه جملة واحدة، ثم ثباتها على تحمل مواقع القضاء بالرضا، ثم ثباتها على تحمل عظام الأمور، في المسارعة إلى الحب في الله والقرب، ومن تفضل الله عليه بتلك المعاني فقد فاز فوزاً عظيماً، وكفى شرفاً لأهل الصبر قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة ١٥٣ .

وجيش الحق في الإنسان هو عقله الذي يعقل عن الله، وتصديقه بوعد الله ووعيده، وشهوده منة الله عليه في إيجاده وإمداده، وخوف مقام ربه فيما كاشفه الله به من جلي آياته، والمحافظة على التشبه برسول الله ﷺ، والحرص على أن يكون من أهل معيته، الذين وصفهم الله تعالى في آخر الفتح، والرغبة فيما رغبه الله فيه، وحب ما أحبه الله، هذه هي جيوش الحق التي في الإنسان. أما جيوش الباطل فيه فسلطان شهوة المأكَل، والمشرب، والمنكح، وثورة الأمل، والطمع، وشرارة الهوى، والشح، وظلمة ضعف الإيمان، ونسيان يوم الوعيد، ومتى ثبت جيش الحق أمام جيش الباطل، وهزمه، وأخرجه من مدينة الهيكل الإنساني، فإن الإنسان يمثل مملكة عظيمة، كما قررت ذلك في مواضع علم النفس، في كتابي "النور المبين" و"معارج المقربين". وبانهزام جيش الباطل يقوى جيش الحق، فيكون الإنسان ملكياً روحانياً بأخلاقه وأعماله، وإنساناً بشكله وظاهره، منظوراً بأعين الله تعالى، محبوباً عند الملائكة والناس أجمعين، حاشا إبليس وجنوده.

الصابرون أئمة للمتقين

قد جعل الله تعالى الصابرين أئمة للمتقين، وتم كلمة الحسنی عليهم في الدين، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِبَيْتِنَا يُوْقِنُونَ﴾ السجدة ٢٤، وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ الأعراف ١٣٧، وقال ﷺ: (إن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً). وقد جعله سيدنا على ؑ ركناً من أركان الإيمان، وقرنه بالجهاد والعدل والإيقان، فقال: (بنى الإسلام على أربعة دعائم: على اليقين والصبر والجهاد والعدل)، وقال كرم الله وجهه: (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له)، وأخبر ﷺ: أن من أوتى نصيبه من اليقين والصبر، لم يسأل ما فاتته. وأخبر عليه الصلاة والسلام أن بالصبر كمال العمل والأجر، فقال: (من أقل

ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر، ومن أعطى حظه منها لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار، ولأن تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحب إلى من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم، ولكنى أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضاً وينكركم أهل السماء، عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه)، ثم قرأ ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النحل ٩٦، وقد قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ القصص ٥٤، وقال جل ثناؤه: ﴿إِنَّمَا يُؤْنَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الزمر ١٠.

وقد أخبر الله تعالى أنه مع الصابرين، ومن كان الله تعالى معه غلب، كما أن من كان معه علا، فقال: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الأنفال ٤٦، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ محمد ٣٥، واشترط الصبر لإمداده بجنده، والنصرة بتأييده بقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ آل عمران ١٢٥، وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول: (نعم العدلان، ونعمت العلاوة للصابرين) يعنى بالعدلين: الصلاة والرحمة، وبالعلاوة الهدى، والعلاوة ما يعلى به فوق الحملين على البعير، ليكون كعدل ثالث، وكان سهل التستري يقول: (الصبر تصديق الصدق، وأفضل منازل الطاعة الصبر على ترك المعصية مع الباعث، ثم الصبر على الطاعة)، وقال في معنى قوله عز وجل: ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا﴾ الأعراف ١٢٨، أى استعينوا بالله على أمر الله، واصبروا على أدب الله، وكان يقول: الصالحون في المؤمنين قليل، والصادقون في الصالحين قليل، والصابرون في الصادقين قليل، فجعل الصبر خاصية الصدق، وجعل الصابرين خواص الصادقين. وفي حديث عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه: (لما دخل رسول الله ﷺ على الأنصار فقال: (مؤمنون أنتم؟) فسكتوا فقال سيدنا عمر رضي الله عنه: نعم قال: (وما علامة إيمانكم؟) قال: نشكر في الرخاء، ونصبر على البلاء، ونرضى بالقضاء، فقال: (مؤمنون ورب الكعبة). وقال ﷺ: (الصبر في ثلاث: الصبر عند تزكية النفس، والصبر عن شكوى المصيبة، والصبر على الرضا بقضاء الله تعالى على خيره وشره).

هذا وقد فصلت في كتاب "أصول الوصول" مجمل مباحث الصبر لكل منزلة من منازل السالكين، فراجع لمزيد العلم، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ طه ١١٤.

الصبر عند السالكين

أولاً صبر السالك عن المعصية

السالك هو الذى يجاهد هواه وحظه، فهو بين خوف من العقوبة وحياء من الحق، فالخوف يبعثه على ترك المعصية فيصبر عن المعصية حفظاً للإيمان، لأنه تحقق وقوع الوعيد على من اقترف المعصية، فيحذر الحرام خشية من العذاب، والحياء يدعوه إلى مراقبة ربه، وهو من أكمل شعب الإيمان، وصاحب الحياء يتروح بروح الإحسان، فيصبر عن المعصية حياء من ربه، والصابر عن المعصية حياءً أكمل من الصابر عنها خوفاً، لأن صاحب الحياء فى مراقبة، وصاحب الخوف فى مقام مجاهدة، والمعصية تنقص الإيمان، أو تحجب عيون القلب عن مطالعة أسرارهِ، قال عليه السلام: (لا يزنى الزانى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينهب نهبة ذات شرف، يدفع إليه الناس فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن)، فإياكم إياكم والتوبة معروضة بعد، ومن حذر من الحرام احتاط فى المباح، فإن التوسع فى المباح سلم الوقوع فى الحرام، ومن صبر حذراً من الحرام جعل الله بينه وبين الشبهات سوراً من المباح، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْظِرْنَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ الحديد ١٣، فمن لم يحصنه الله بهذا السور فى الدنيا، وقع فى العذاب فى الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ الإسراء ٧٢، فمن لم يكن له بصر ليصبر به مواقع الشبهات، ويتحصن منها بترك كثير من المباحات، وقع فيها حرمه الله.

ثانياً تبصرة السالكين

بعض السالكين يجهلون السلوك، فيكثرون الذكر بألسنتهم، ويكثرون الصلاة والصوم والحج وقراءة القرآن، ويظنون أنهم بلغوا درجة القرب، ويتساهلون فى وجه القوت وفى المعاملات، فيكون قوتهم من الحرام ومعاملتهم فى الحرام، لا يباليون ما نهى الله عنه من صريح الحرام، وما نهى عنه رسول الله عليه السلام من الشبهات، ويظنون أنهم على خير وفى خير، لجهلهم

بآداب السلوك، ومخاوف السالكين، وملاحظات المجاهدين، وإن كانت أعمالهم التي يعملونها يستندون فيها إلى بعض الأفراد الذين أشهدهم الله على جماله، فغابوا عن أنفسهم وعن الكونين، وفروا إلى الله، وتركوا العمل للدنيا، وهؤلاء ليسوا أئمة للمتقين، ولا قدوة للسالكين، لأنهم في مقامات محبة الله، ومتى أحب الله العبد لا يضره ذنب، خصوصاً وأن ما يجريه الله على أيديهم لم يكن لحظ، ولا لقصد، ولا لكسب منهم، فإذا تركوا العمل للدنيا، أو هجروا الخلق، أو اختفوا عن الناس في خلوتهم، أو تفضحوا ليسقطوا من قلوب الخلق، فرفع الله ذكرهم، فإن ذلك كله لم يكن لحظ خفى في نفوسهم، بل لصولة الحق عليهم، ولما واجههم به سبحانه.

والواجب على أهل السلوك أن يحفظوا مقامهم الذى أقامهم الله فيه، فلا يتجاوزوا مراتبهم، ولعلك تعلم أن الله تعالى أمر كلمه ﷺ بالسياحة إلى العبد الصالح، الذى أتاه الله منه علماً، ومع أنه مأمور من الله بصحبته، أنكر عليه، وهو رسول الله المعصوم حفظاً لمقام الرسالة، فإذا كان كلهم الله المعصوم، المأمور من الله تعالى بصحبة العبد العارف، حفظ مقامه مع هذا العبد، وأنكر عليه ما لم تستبين له حكمته، فأنت أيها السالك المسكين أحق بأن تحفظ مقامك فى السلوك، فإن السالك إذا تعدى قدره، وتشبه بأهل المحبة المقربين، تاه فى بيداء الهلاك، وشطح شطح الضالين، والطريق وعر، وكيف ينجو من هو فى أول مرحلة؟ بينه وبين مقاصده مفازات وصحارى ومخاوف، فسمع أخبار من وصلوا إلى مقصدهم وأحوالهم، فجهل نفسه، وجهل مرحلته التى هو فيها، وجهل المراحل الشاسعة، وظن لجهله أنه مقام الوصل، ثم نسى ظنه، وادعى أنه واصل.

تنبه أيها السالك، وجاهد نفسك فى ترك المعصية حتى تطهر، وتضرع بترك أكثر المباحات، حتى تتحصن بحصون الخوف من الوقوع فى المحرم والشبهات، وتأدب فى كل مرحلة من المراحل بآدابها، فإن من ساء أدبه على الأعتاب، رد إلى رعى الدواب، ومعنى ذلك: أن سوء أدبه على الأعتاب، يدل على أن نفسه بهيمية شهوانية، فيرد إلى تأديبها وتهذيبها، والله يحفظنى وأخوتى من سوء الأدب فى المراحل من التشبه بالمرشد الكامل فى أحواله الخاصة به، ويرزقنا به التشبه بأعماله وأخلاقه التى هى نجاة السالكين والواصلين والتمكنين.

الصبر عند الواصلين

أولاً صبر الواصل على الطاعة

لما كان الواصل هو من كمل إيمانه، وتناول شراب الإحسان، فكان مشاهداً للحق، أو متيقناً أنه مشهود من الله، ولا يتحقق بمقام الوصل إلا من ترك ما نهى الله عنه جملة، وترك كثيراً من المباح خوفاً من الوقوع في الشبهات والحرام، مع المحافظة على آداب السنة، أكثر من محافظته على نفسه التي بين جنبيه. ومقام الواصلين في الصبر، أن يصبروا على الطاعة بمراعاة ما به تكون طاعة حقاً، وقد بين الله روح هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَادِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾﴾ المؤمنون ١-١٠.

والصبر على الطاعة هو صبر على جميع أنواعها، سواء كانت من أعمال القلوب أو من أعمال الجوارح، لأنه يصبر على دوام تأديتها في آنائها.

ولما كانت الطاعة لا تكون طاعة حقاً مقبولة إن كان الباعث عليها غير وجه الله تعالى، بأن دعا إليها نيل أجر في الآخرة أو في الدنيا من رياء وشهوة وشهرة خفية، أو لخدعة عباد الله، من أمراض النفوس التي تخفى على أهل الوصول، فيجب أن يصفى أعماله بالإخلاص. فإن عدم مراعاته الإخلاص في الطاعات يجعلها معاصي، فإن الطاعة إذا قصد بها غير وجه الله تعالى توقع في الشرك الظاهر أو الخفي، فإن الله تعالى تفضل علينا بالإيجاد والإمداد، لا لعله وحاجة إلينا، بل فضلاً منه، وكرماً خالصاً، فكيف يقبل منا عملاً عمل لغيره؟ ونحن الفقراء إليه، وهو الغنى عنا، فإذا راعى الإخلاص في أعمال الطاعات، طولب بأن تكون الطاعات مطابقة للعلم، ظاهراً وباطناً، أما ظاهراً، فتكون مطابقة لما كان عليه رسول الله ﷺ، وما كان عليه أصحابه رضوان الله عنهم أجمعين، ويلاحظ في ذلك العلم باطنياً من شهود أن الله جل جلاله هو الذي وفقه وأعان، وهداه ويسر له فعل ما أمره، بمعونة منه وقدرة وإرادة منه سبحانه، فيشهد أن الله أنعم عليه بتلك النعم كلها، ويرى أن العمل نعمة

من الله عظمى، فيسأل الله تعالى أن يعينه على شكر هذه النعمة، ويرى نفسه أحقر من أن تكون له قوة أو حول يقوم بها لله بما أوجب، فيستغفر الله من أن تخطر تلك الخواطر على قلبه، لما انبلج له من أنوار التوحيد، ثم يسأل الله تعالى أن يتفضل عليه بقبول ما من به عليه، وأن يديم له الشكر، ويعينه عليه، وبذلك يكون قد نال مقام الصبر في نزل الواصلين، ويكون الله معه، لأنه صابر مع الله تعالى.

ثانياً تنبيه للواصلين

يجب على الواصل أن يراعى الأدب في ملاحظة تلك المعانى، والأدب في هذا المقام دوام النظر إلى النفس بعين التقصير، حتى لا تخرج عن الأدب، فإن العبد عبد وإن علا، والرب رب وإن تنزل، وسبحان العلى العظيم الغنى عن طاعات عباده، الذى لا تضره المعاصى وإن جلت، ولا تنفعه الطاعات وإن عظمت، ومحل الضر والنفع هو العبد، وبمراعاة الآداب يدوم نفعه، وبنسيان حقيقته يعرض نفسه لحتفه، حفظنى الله وإخوتى من سوء الأدب في كل منزلة من منازل القرب والوصول.

الصبر عند أهل التمكين

لما كان مقام التمكين لا يبلغه إلا من قام بخالص العبودية، مسارعاً إلى ترك ما نهى الله عنه جملة، والعمل بما أمره الله به على الوجه الذى قرناه بعد استطاعته، قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن ١٦، وسبق لى أن الحكم أمران: حكم قضاء وقدر، وحكم أحكام ومعاملات. ولما كان المتمكن أعانه الله فقام بحكم الأحكام والمعاملات، وبقى عليه القيام بحكم القضاء والقدر، لأن مقامه مقام تمكين عن شهود عين أو حق اليقين، وأشار الله تعالى إلى أهل هذا المقام بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ آل عمران ٢٠، اصبروا بنفوسكم على طاعة الله تعالى وصابروا بقلوبكم على البلوى فى الله تعالى، وربطوا بإصراركم على الشوق إلى الله تعالى.

والصبر عند أهل التمكين صبر فى البلاء، يدعو إليه اليقين بحسن الجزاء عليه، ويسهل ثقل البلاء انتظار الفرج من الله تعالى لمشاهدة أنوار قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ إن مع العسر يسراً ﴿الانشراح ٤-٥﴾

ويسهل وقوع البلاء على القلوب، بعد سوابغ النعم، وجزيل المنن وتذكر الآلاء، وقد ظن قوم أن الصبر على الطاعات والقربات أكمل من الصبر على البليات، ولاحظوا في ذلك أن الصبر على الطاعات باختيار العبد، وأن الصبر على البليات بالإكراه، فنظروا إلى مشاهدتهم، وحكموا بها على أهل المقامات العلية، والحقيقة أن الصبر على البليات أشد وأصعب من الصبر على الطاعات، لأن الصابر على الطاعات أنس بمعان مشهودة وملحوظة، أما المشهودة له فلا لأنه عبد وفقه الله لما يحبه، وأقامه مقاماً يرضى به عنه، مع نظره لأهل المعاصي والكفر بالله، والملحوظة نيل رضاء الله يوم القيامة وحسن الثواب منه، سبحانه وتعالى والفوز بجوار رسول الله ﷺ في مقعد صدق.

وأما الصبر على البلاء، فإن العبد فيه يسأل الله العفو والعافية، بين فادح الآلام والخوف من أن يكون ما هو فيه عاجل نقمة من الله، وبين شاتة الأعداء من أهل الباطل، وحزن أهل الإيمان، وإخفاء ما يدعو إليه فلا يصبر على تلك المعاني كلها إلا مكاشف بأسرار المبلى سبحانه وتعالى مشاهد لجلاله جل جلاله، متمكن من كمال التوحيد بالتوحيد، ولعلك تعلم أن أعظم الناس بلاء الأنبياء، وأكمل الناس صبراً على البلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل.

وان الصبر على الطاعات، والصبر على ترك المنهيات، قد يتصف بهما المستدرج الذي يعمل العمل لغير الله، لينال شهرة أو ليكون له نفس ذات تأثير، وكم من صومعة بها رجال تركوا حظوظهم وشهواتهم، وأقبلوا على العبادات وهم كفار، وكم من مريض ترك طبيبات المأكل والمشرب والمنكح والمسكن وأقبل على العبادة، ليعلم الغيب أو لتكون له نفس مؤثرة ذات أحوال شيطانية كالكهان، وشتان بين صبر على بلاء المبلى لشهود كماله وجماله وجلاله، ولعلمه بأخلاقه سبحانه، ومن صبر على ترك ما نهى عنه وعمل بما أمر به لينال الجزاء منه، وبذلك كان الصبر على البلاء مقام أهل التمكين.

عيون الرأس تشهد المباني
فمن شهدوا بعين القلب هاموا
ومن شهدوا بعين الرأس حجبوا
رموا بالقذف من شهدوا جمالي
وعين القلب شاهدت المعاني
بحبى مسرعين إلى التدانى
عن الأنوار والسر المصان
ليرتدوا عن الكشف العيان

فحصنت المحب بحصن حفظي وألقيت العدو إلى الهوان
ومن صبروا على كيد الأعداى تحلوا بالتقرب والجنان
فـرتل ﴿مَا يُلْقِنَهَا﴾ بفكر تدوم لك البشائر بالتهانى

الباب العاشر

مقام الرغبة

قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ وَيْحِي وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَزَوْجُهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِعِينَ﴾ الأنبياء ٩٠، وقال ﷺ: (سبق المفردون، وضع
الذكر عنهم أثقاهم).

وقال ﷺ: (الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، والدنيا
والآخرة حرامان على أهل الله).

والرغبة إقبال على الحق بعد وجود، وهى أعلى من الرجاء، لأن الرجاء إقبال على الحق
قبل الكشف، حتى إذا خصه بعين اليقين أو بحقه رغب، وهى من صفات الرسل عليهم
الصلاة والسلام.

الرغبة عند السالكين

الرغبة عند السالكين هى جذبة النفس بالكلية عن يقين العلم إلى الحق مسارعة وإقبالاً،
وينتج عنها أحوال، منها انزعاج النفس إلى المسارعة لما يكون به الفلاح، مجاهدة بعمل ما
لا يتحملة إلا أهل العزائم، ونفوراً مما يلائم النفس ولو كان مباحاً تعظيماً لأمر الله، وسعيّاً في
نيل مرضيه ومحابه سبحانه، ومنها حال يقظة القلب لمشاهدة ملكوت السماوات والأرض،
ومنها حال نسيان المعاصى، حتى لا يخطر على قلب صاحب هذا الحال ليقظة قلبه أن أحداً
يقع في رخصة فضلاً عن صغيرة، لا لاستعظام الصغائر والرخص، بل لعظمة المطلع عليه
سبحانه وتعالى حين عملها.

الرجبة عند الواصلين

الرجبة عند الواصلين هي رغبة أهل التلوين من المتمكنين في حالهم، وهي وميض برق التجلي الذي يجعل أهله ترخص في أعينهم نفوسهم، وتتضاءل احتقاراً في قلوبهم همهمهم، وتحتقر لديهم نفائسهم، فيبدلون كل ذلك رغبة في الفرار إلى الحق مما سواه، فتتحد همومهم وتكون هماً واحداً في الله، وتفنى كل مقاصدهم إلا المقصود الأول سبحانه، وأهل هذا المقام يخلو لهم الملام ويسر لهم المرام وهم أئمة الملامتية، لأن أحوالهم الداعية لبذل نفائسهم وأنفسهم، ورضاهم بالمهانة والابتذال والدناءة، تجعل الناس يظنون فيهم الجنون، وليسوا بمجانين، ومن جهل شيئاً عاداه، ومن ذاق عرف. وهنا أنبه إخواني أن الأحوال لا تكون إلا ماحقة للأغيار، محقرة لزينة الحياة الدنيا، منفرة لقلب الواصل عن أن يطمئن إلا بذكر الله، ومن كان حاله لا يحقر في عينه الدنيا وما فيها، فليس من أهل الأحوال ولا من أهل علم اليقين فضلاً عن أن يكون من أهل عين اليقين أو حقه، قال عليه السلام: (من عرف الله صغر في عينه كل شيء)، وأهل مقام الرجبة كما قررت لك، هم أبدال رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم.

الرجبة عند أهل التمكين

الرجبة عند أهل التمكين إشراق أنوار التجلي في حال التحلي، وشهود ذلك حيث كان المتمكن ولي، وبذلك يقوى الهيام بارتشاف المدام وشهود الجمال ممزوجاً بالجلال، فيشهد الشوق مع الخشية فيكاد الشوق يخرجهم عن التوسط، فتحيط بهم الخشية فتردهم إلى حصون الأمان، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الأنعام ٨٢، فلا يخرجهم الشوق عن إنسانيتهم، ولا تقهرهم الخشية إلى آدميتهم، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ البقرة ١٤٣، وفي هذا المقام تكون الجمعية على الحقيقة، بحفظ آداب الشريعة، قال تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْمِهِمْ آتَدَهُ﴾ الأنعام ٩٠.

قلبي ونفسي في رغب وفي رهب القلب يخشى ونفس العبد في الطلب
يقول قلبي يانفس نفست فما تلك الرعونات بعد العلم بالرب
هيا أنيبي إلى مولاك في حلل من الرضا بمعاني الصدق والمحب

علامة الجهل عن أصلى وعن نسبي
قدر العلى بحال الخوف والرهب
سكونك القرب بالإجلال والأدب
وحالتى تقتضى سعى إلى القرب
عين اليقين بلا وهم ولا ريب
عن الجمال عن الإحسان والرغب
سعادتى وبها أرقى إلى الرتب
فذا السكون إليه غاية الطلب
فلى مقام بلا حولى ولا سبى
فاسكن إلى الله بالتسليم يا قلبى
به أقرب حتى ترفعن حجبى
بالاضطرار ليمحو سيدى كرى
أرجوه يرمى الأعدى منه بالشهب
من شر نفسى ومن هول ومن نوب
بحفظه فى حصون الحفظ والحسب
عذرتنى فى شئونى فادكر سبى
لأننى لوحه ونسخة الكتب
سر المجالى لتبدى مظهر الرهب
ولى البشائر والزلقى بلا نصب
وأنت تحشى من العظموت يا قلبى
خير الخلائق من عجم ومن عرب
بها نفوز بأعلى القرب والرتب

يا نفس مالك بعد العلم قد ظهرت
قد آن يانفس أن ترضى محققة
شأنى وشأنك يا قلبى مباينة
إذا سكنت فقد أدركت بغيتنا
شتان بينى فى حالى وبينك فى
علمى بمن أسألنه عن مشاهدة
فلا تلمنى فى الآمال إن بها
ولا ألومك فى السكنى إلى أحد
فاسكن إليه ودعنى فى منازلتى
والذكر بين مرتبتى وميزها
دعاء ربى تحقيقى بمنزلتى
سؤاله عين تحقيقى بمنزلتى
وإننى العبد فى فقر وفى ضعة
حتى أكون به فى حصن منعته
بجماً بمعانى العبد متصفاً
إذا قرأت ﴿وَمَا مِنَّا﴾ بحكمتها
سر التنزل يبدو لى فأشهده
وأنت بيت لسر الكبرياء به
فيك المهابة والرهبوت من أحد
أرجو الجمال فيسعدنى ويمنحنى
وصل دوماً على النور المبين لنا
وآله وصحابته وعتوته

الباب الحادى عشر

مقام الحرمة

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ الحج ٣٠ وقال ﷺ في الحديث الطويل: (ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه).

الحرمة: التحفظ من الميل إلى المعاصى، ومجاهدة النفس خوفاً من النزوع إلى المنهيات، حتى يدوم كبح جماحها، تعظيماً للأمر بالمسارعة إلى القيام به، ورهبة من الأمر سبحانه وتعالى أن يقع فيما نهى.

الحرمة عند السالكين

الحرمة عند السالكين قبول ما أمر به الله تعالى بالسمع والطاعة والمسارعة إلى العمل، وترك ما نهى عنه سبحانه وتعالى جملة واحدة، إجلالاً لعظمته وهيبته من جلاله، وإخلاصاً لوجهه الكريم، لا ليدفع عنه العقوبة فيكون ذلك عملاً للنفس، ولا لينال المثوبة فيكون أجير سوء، ولا لنيل المنزلة عند الناس فيكون متديناً بالمرءاة، ومن كانت فيه شعبة من تلك الشعب فهو عابد لنفسه، وقد شرحت لك الرياء والنفاق والإخلاص في كتاب "أصول الوصول" وفي كتاب "الفرقة الناجية" فراجعها ليدوم لك المزيد.

الحرمة عند الواصلين

الحرمة عند الواصلين فقه يجعله الله في القلب، يمتلئ به تجويف القلب تعظيماً لكتاب الله تعالى، وإجلالاً لكلام رسول الله ﷺ وخشوعاً لما ورد من الآثار، حتى لا تنزع النفس إلى التأويل، ولا تبتهج بتمثيل، خنوعاً للخبر بعد العلم أنه خرج من الله، وأن الذى جاءنا به هو رسول الله ﷺ، وأن للعالم إله باق، والعارف الروحانى إذا سمع الحديث أو القرآن اقشعر جلده، ولأن قلبه لذكر الله، هيبته للمتكلم جل جلاله، واحتقاراً للعقل أن يحوم حوالى فناء حظائر العزة، وتبرئة من الحظ والهوى أن يكون لهما سلطان على القلب بعد سلطان كلام الله، وكلام رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي

تَشْعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضَلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿الزمر ٢٣﴾ وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْنًا بِهٖ كُلُّ مَن عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿آل عمران ٧﴾

فالواصل لا يدعى على الأخبار إدراكاً ولا توهماً، ويقول كما قال الله تعالى مخبراً عن الراسخين في العلم: ﴿ءَأَمْنًا بِهٖ كُلُّ مَن عِنْدَ رَبِّنَا﴾ آل عمران ٧، فتوحيد الواصل توحيد العجائب، والعامّة الذين يسلمون الأخبار، ويعتقدون ما في ظاهرها أدباً مع المتكلم سبحانه ومن تعدى تلك الحدود كان مستدرجاً هاوياً في مهاوى السخط والمقت أعاذنا الله جميعاً. وقد تجاوز أدعياء العلم والحال حدود ما أنزل الله، ذلك لأن الله تعالى كرههم، فصرفهم عن الحق إلى الباطل، وإذا كره الله إنساناً لم يوفقه لما يجب من الأعمال، ولم يعينه على القيام بأوامره، وكفى بعداً للأدعياء أن الله كره أن يقيمهم مقام المقربين، من الذين وصفهم في كتابه العزيز بأنهم أهل معية حبيبه ومصطفاه بقوله تعالى: ﴿رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ الفتح ٢٩، ومن لم يوفقه الله تعالى للصلاة خضوعاً للأمر، واقتداء بحبيبه ومصطفاه، فقد سجل الله عليه القطيعة، أعوذ بالله من مخالفة أمره.

الحُرْمَةُ عِنْدَ أَهْلِ التَّمَكِينِ

الحرمة لأهل التمكين ثلاث منازل: منزلة البسط، ومنزلة السرور، ومنزلة الشهود.

أولاً الحُرْمَةُ عِنْدَ أَهْلِ التَّمَكِينِ فِي مَقَامِ الْبَسْطِ

الحرمة عند أهل التمكين في مقام البسط مواجهة لقدس الجبروت الأعلى تحفظهم في البسط من إظهار مشاهد الروح بلا رمز، ومن الخروج عن الآداب المحمدية إلى الشطح، فإن الشاطح تائه، فهم في أرقى مقامات البسط، مواجهون بسواطع عظمت تنكسر له قلوبهم، وعندما تنكسر قلوبهم يتجلى لهم الجبار فيجبرهم، كما قال عليه السلام في الحديث القدسي: يقول الله تعالى: (أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي).

ومن كان الله عنده لا تعلم نفس ما أخفى له، وكم زلقت أقدام رجال في حال البسط، عندما قهرتهم أحوالهم فشطحوا أو تاهوا، ومنهم أبو الحسين الشهير بالحلاج، فإنه بسط له البساط، ودعى فتاه وشطح على البساط، وإنما الأدب والخشية يكونان في مقام البسط، فإن العبد الذى يضيق قلبه عن تجليات معانى أسماء الجلال، إذا أشرفت عليه أنوار الجمال، غاب عن مكانته العبدية، وتعدى سور الحيطه الآدمية، فشطح تائهاً، فإن كان له مرشد كامل تداركته العناية، فأنجاه الله على يده، وإن لم يكن له مرشد، انمحت في عينه مكانته البشرية، فاختل نظام تركيبه، وتعدى سور الحيطه وحصن الأمن، وما تقول في تائه في بادية الضلالة، لا يبالي به الشيطان أن يلتهم قلبه، فيضع فيه ما أحب؟ فمن كان على يد المرشد، فهو كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُوهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة ٢٥٧، وكما قال ﷺ: (يد المؤمن في يمين الله كلما وقع أقامه)، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الحجر ٤٢، وسأزيدك بياناً عند ذكر البسط وما يلزمك أن تكون عليه من آدابه.

ثانياً الحرمة عند أهل التمكين في مقام السرور

الحرمة عند أهل التمكين في مقام السرور تحققه بالعجز عن القيام بشكر المن والالاء والفضل المتوالية عليه من الله تعالى، فإن أهل منزلة السرور تجلت لهم حقيقة المنه الإلهية عليهم، حتى كوشفوا بمنن الله التي لا تحصى، ونعمائه التي لا تستقصى، فامتلات قلوبهم شوقاً إلى الله وحباً فيه، ولاحت لهم أنوار عناية الله بهم ومحبتة سبحانه لهم، فملاً السرور أفئدتهم وقلوبهم بما كوشفوا به من نعمائه، وانبلجت لهم أنوار مننه سبحانه وتعالى عليهم، فدعاهم السرور للعجز عن القيام بشكر النعماء، والقصور عن تأدية حق المنه، واشتد الحب الخالص للحق سبحانه قال ﷺ: (أحبوا الله لما يغدوكم به من النعم، وأحبوني لحب الله، وأحبوا آل بيتي لحبى)، وتبين جلياً أن أعظم منة لله علينا، هى نعمته علينا بحبيبه ومُصطفاه ﷺ، فكان هذا الكشف حصون أمن في مقام السرور، لأن حب رسول الله ﷺ، وعلم بعض ما تفضل الله به علينا برسوله ﷺ وقاية لنا من الله سبحانه وتعالى يحفظ الله بها سرورنا من أن يشوبه أمن المكر، أو يعتوره غيبة عن المكانة العبدية، فتزل قدم بعد ثبوتها،

أعوذ بوجهه العظيم من أن تكون نعمه سبحانه معينة على مخالفة وصاياه، ومننه سبحانه وتعالى داعية إلى الخروج من سور الأمن وحصن الحفظ، إنه مجيب الدعاء.

وكم أفسد الشيطان قلوباً ألم بها من الغرور بنوال النعم والزهو بالمنن، حتى أوهم المتمكنين أنهم بلغوا المبلغ الذى يسقط عنهم الواجبات، وصارت لهم المنزلة التى يكون لهم فيها ما يشاءون. ومن دسائسه أعاذنا الله منه، ما ورد فى كتاب الله تعالى من قوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴿١٧٦﴾﴾ الخ.

وما فعل بموسى السامرى الذى رباه جبريل عليه السلام حتى بلغ من مكاشفة الأسرار مبلغاً صار له تأثير نفسانى يستعمل لإظهار الحق، فاستعمله لإظهار الباطل، وقصته مشهورة فى القرآن، ونظيره الذى وهبت له تلك المواهب فاستعملها فى إظهار الحق آصف بن برخيا، الذى أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴿٤٠﴾﴾ والنمل ٤٠، وقصته مشهورة.

ومن دسائس الشيطان فى تلبيس الحق بالباطل والباطل بالحق، ما أفسد به قلوب تلاميذ المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فإنه أتاهم فى صورة إنسان بعد رفع المسيح، وجلس ييكى معهم حتى أبكاهم، وقال: إنكم تجهلون قدر المسيح ولو علمتم قدره لسعدتم، فقالوا: من أنت؟ فقال: أنا تلميذه العارف به، فقالوا: عرفنا به، فقال: إني سائلكم فأجيبوني، قالوا: سل، قال: من الذى خلق خلقاً من الطين فأحياه؟ قالوا: الرب، قال: فمن الذى يحيى الميت؟ قالوا: الرب، قال: فمن الذى يشفى الأكمه والأبرص؟ قالوا: الرب، فقال: تبصروا فإن المسيح هو الرب لأنه فعل ذلك كله، وكان القوم مجانين بحب المسيح، ومحترقين بفراقه احتراقاً أذهل عقولهم، فأصغى إليه أكثرهم، وتشبعوا بآرائه الفاسدة وعقيدته المضلة، وهم تلاميذ المسيح وأهل خاصته، وأنكر عليه قليل منهم، فالتفت إليهم وقال: أنتم أعداء المسيح وخصومه، أفتقولون كما قال اليهود: إنه ابن زنى! وتنزه الرب اليسوع المسيح، فبكوا من وقع تلك الألفاظ، فقال: إذاً من أبوه؟ فقالوا: أنت أعلم به منا، فقال: هو ابن الرب فاصغوا إليه وتلقوا عنه، وانقسموا وتفرقوا على أنفسهم، وأنكر رجل منهم، فحاوره لعنه الله حتى جعله

يقول: ثالث ثلاثة، وأمرهم أن يتفرقوا في البلاد، فأفسدوا العباد وأضلّوهم، وهم تلاميذ إبليس عليه لعنة الله، مع أن المسيح لم يرض لنفسه أديباً مع الله تعالى أن يكون هو المعلم الصالح، فغضب وقال: أنا لست المعلم الصالح المعلم الصالح هو الله.

وقد ورد عن بعض أئمة أهل الطريق، أنه عبد الله عشرين سنة، في خلوة لا يخرج منها، مجاهداً نفسه أشد المجاهدة، حتى صفا جوهر نفسه، وبينما هو في خلوته وإذا بالسقف رفع، فامتألت خلوته أنواراً، فسمع منادياً يقول: يا عبدى فلان، فأصغى بكليته ولبى، فقال: إني أبحت لك المعاصى، فأجابه مسرعاً: إخساً يا ملعون لعنة الله عليك، فقال: إني أهلكت أكثر المجاهدين بهذا، فكيف نجوت منى؟ قال نجاني الله بالعلم، قال: بين لى العلم الذى نجاك الله به قال: يقينى بأن الله تعالى لا يحرم شيئاً على لسان رسوله ﷺ ويبيحه لأوليائه، ففر إبليس لعنة الله عليه حزينا، وكيف لا؟ وقد قال الله تعالى مخبراً عنه: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الأعراف ١٦.

وهل تمكين أرقى من تمكين آدم ﷺ في الجنة، بعد أن صوره الحق جل جلاله بيده، وأسجد له ملائكته وأسكنه فردوسه؟ فتسلط عليه اللعين فأوقعه في معصية الله، وأخرجه من دار كرامة الله، قال ﷺ في الحديث الطويل: (والمخلصون على خطر عظيم).

أسأل الله أن يحفظنى وإخوانى المسلمين جميعاً وأولادى فى مقام البسط والسرور، من الشطح ومن لمة الشيطان الرجيم، إنه هو الحفيظ الواقى الرؤوف الرحيم.

ثالثاً الحرمة عند أهل التمكين فى مقام الشهود

إشراق أنوار حق اليقين فى مشاهد التوحيد بالتوحيد، لطوفاً بشهود غرائب القدرة، وظهوراً بشهود غرائب الحكمة، حتى لا يغيب عن الحكمة فتتمحى الأسباب فى نظره، ولا يحجب عن القدرة فيشوب توحيدته شرك خفى، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ الفرقان ٦٧، وقال تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ الرحمن ٢٠، فإذا قويت مشاهد التوحيد فى مراقبة قادر، ولم يكن ثم البرزخ الحاجز، شهد سر عجائب القدرة، وغاب عن أنوار غرائب الحكمة، فخرج من الاعتدال، وتعدى وضع مسبب الأسباب، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ

أُمَّةً وَسَطًا ﴿ البقرة ١٤٣، وقال ﷺ: (إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى).

وفي الأثر: (عليكم بالنمط الأوسط) وقال ﷺ: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدول ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين).

فالحرمة في مقام الشهود عند التمكين سابقة المحسنى أولاً لأهل التمكين، التي يحفظ الله بها شهودهم من أن ييازجه أو يعارضه سبب، فتكون الأسباب والشئون مميزة للحضرتين، فيظهر بها حقيقة العبد، وأنوار الرب جل جلاله، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ آل عمران ١٠١، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ العنكبوت ٦٩، فمن كان جهاده في الله هداه صراطه المستقيم وسبيله القويم، ومن كان جهاده لحظ خفي وهوى متبع، نكب عن الصراط واتبع هواه، فكان من الغاوين.

أعاذني الله وإخواني من الشيطان الرجيم، ومن الهوى المتبع ومن الشح المطاع، ومن الإعجاب بالرأى، إنه مجيب الدعاء.

في ارتحالي أحرمت إحرام واجد	حال حلى أحللت إحلال فاقد
حلى الوصل فيه حل وجودى	وارتحالى فضل شهيد وشاهد
من ﴿أَلَسْتُ﴾ ارتحلت حل وجودى	سورى الكون كادحاً فيه جاهد
من كيانى ارتحلت حلى مقامى	في فنائى عنه بقائى صاعد
ذاك حلى، وذا ارتحالى، مقامى	بعد هذا اتحادى بالغير جاحد
في اتحادى غيب، يحيط بى الوجه	كأنى غيب لسر المشاهد
بعد غيبى الوجود حق يقين	جملتنى عبودة فى المعاهد
عهد بدئى، وقلبه عهد معنى	فى اجتلاء الأوصاف جل الواحد
وحدة عينت وجودى عهدى	من أنا؟! العبد صنع رب ماجد
حلى الفضل، وارتحالى وصل	مظهر للجميل جل الواحد

الباب الثاني عشر

مقام الزهد

قال الله تعالى: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ الحديد ٢٣، وقال ﷺ: (إذا رأيتن الرجل أوتى زهداً في الدنيا ومنطقاً فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة).

وتعريف الزهد عندهم هو ترك ما يشغل عن الله جملة، فالزاهد غير العارف مشغول بنفسه.. والزاهد العارف مشغول بالله عن نفسه، فالعارف زهد فيما سوى الله، فمن صحب الزاهد غير العارف عطره الخلل والخردل، ومن صحب الزاهد العارف عطره بالمسك والعنبر، قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر ٩، ومن تكلم في الزهد ووعظ الناس ثم رغب في ما لهم، رفع الله حب الآخرة من قلبه، وقال الإمام أحمد بن حنبل: (الزهد على ثلاثة أوجه: ترك الحرام، وهو زهد العوام، والثاني: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص، والثالث: ترك ما يشغل العبد عن الله وهو زهد العارفين).

وقد بينت لك الزهد بياناً وافياً في كتاب "أصول الوصول" في قسم علوم اليقين، وهنا أبين لك ما لا بد منه من منازل السالكون.

الزهد عند السالكون

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ النازعات ٤٠ - ٤١، وقال ﷺ: (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه)، زهد المرید: أي أن يتناول الشيء لا لرغبة فيه ولكن لحاجة تدعو إليه.

والزهد قربة للعامة، وضرورة للمريد، وخشية من الله ورغبة فيما عنده للخاصة، فالمريد يترك الشبهة بعد ترك الحرام، ويحذر من المعاتبة، وتستنكف نفسه من النقيصة، وتكره مشاركة الفساق، فمن رغب في الشيء وطلبه وادعى أنه زاهد فهو كاذب، ونعم هو زاهد ولكن في الآخرة، وليس بمريد عندنا، وكم غر الشيطان مريداً فأوهمه أنه زاهد، فجمل

ظاهره للخلق، وقلبه معلق بالدنيا، يطلبها من حلها وحرامها، وإنما هي معاملة القلوب لعلام الغيوب.

الزهد عند الواصلين

ترك ما زاد على الضرورة، حرصاً على فراغ القلب لمعاملة مقلبه، وعمارة الوقت بمحباب الله ومراضيه، ومسارعتة إلى التحلى بحلة الأنبياء والأولياء والصديقين، ولأهل العزائم في هذا المقام إشارات عالية، ترمى بهمة الواصل إلى قدس العزة والجبروت، رغبة في الله وفناء عما سواه.

الزهد عند أهل التمكين

هو لبه وخالصة، وهو إخراج الموجود من القلب، ثم إخراج ما خرج من القلب عن اليد، استصغاراً له واحتقاراً، ثم نسيان الزهد في الزهد، حتى يكون زاهداً في زهده، لرغبته في مزهده سبحانه وتعالى، وهو أعلى الأحوال في مقامات اليقين، لأنه زهد في النفس فراراً إلى نفسها، ولديها تستوى الحالات عند الزاهد، ويواجه بالبهاء الجلالى والنور الجمالى، فيكون أنساً بالمعطى الوهاب المنعم المتفضل، راضياً عنه سبحانه مرضياً من الله جل جلاله.

عرف الكرام منازل الأصحاب
مالوا عن العذال بل وعن السوى
وفنوا بمظهر حسن معشوق علا
دهشوا بنور جماله وجلاله
شهدوا الجمال من الجميل فحيروا
فالكون نور للمكون جهرة
لا لوم إن باحوا بسر حقيقة
شاهدت نور الحق في وفي الورى
زدنى وحقك لوعوة وحيراً
فتواضعوا ذلاً على الأعتاب
وتمسكوا بالزهد والآداب
حتى عن القرناء والأصحاب
وبمظهر الأسماء فى الألباب
والجمع فيه تحير الطلاب
والنور من مشكاته الوهابى
فالكتم لى فى الجمع عين عذابى
والحق مخفى عن المرتاب
فالسكرويامولاي عين صوابى

الباب الثالث عشر

مقام الورع

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة ٢٢٢، وقال رسول الله ﷺ: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه).

الورع حال من الزهد وهو ترك الاستطالة في المباح حذراً من الوقوع في المكروه، والوقوف عند الواجب على المؤمن بحفظ جوارحه جميعاً تعظيماً للحق، والورع نهاية الزهد لأهل البداية، وبداية الزهد لأهل العناية.

الورع عند السالكين

ورع المريدين هجر الرذائل مرة واحدة، كبحاً لجحاح النفس، واستكثاراً من الحسنات، واستزادة للإيمان، فيحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى، استحياء من الله حق الحياء. والورع في الكلام والرياسة أولى بالرعاية من الورع في الذهب والفضة، فإن الذهب والفضة يبذلان في تنفيذ الكلمة ونيل الرياسة. وأهم ما يسارع إليه المريد من الورع أولاً الورع فيما هو مقصود، لا فيما هو وسيلة، فإن المريد إذا تورع عن المقاصد سهل عليه التورع عن وسائلها. ومن تورع عن الذهب والفضة ولم يتورع من الكلام والرياسة، فليس من أهل الطريق.

للسالكين أحوال في الورع

يدعوهم إليها كمال الإيمان بيوم الحساب، وتعظيم أوامر الله تعالى والعلم الصحيح المؤدى إلى العقائد والآراء الحقة. وقد بسطت أحوالهم في الورع في كتاب "تراجم الرجال"، وقد بلغ بهم الورع أن المريد كان يكره أن يستظل بظل جدار العاصي، أو ينتفع ليلاً بأنوار المصاييح الموضوعة في الطرق للنفع العام، ويمتنع أن يشرب الماء من المجارى التي ظلم الناس في حفرها، إلا لضرورة شديدة، وهذا من يقظة القلب والتحرز، تعظيماً لأمر الحق.

الورع عند الواصلين

هو توفى تعدى الحدود عند استعمال ما لا بد منه، محافظة على كبح النفس والأخذ عليها، لتأنس بما لا يلائمها، وتفر من الدناءة واقتحام الحدود، وللواصلين في هذا المقام أحوال، حتى قد يتورع الرجل عما لا بد له منه، حتى يكاد تزهق روحه إثارة لغيره، وأحوال الواصلين في الورع، لو سمعها العاقل لحكم باستحالة حصولها.

كان الجنيد مسافراً مع تلاميذه، وفقدوا الماء فأشرفوا على الموت، فخرج رجل منهم يطلب الماء فوجد بئعة، فاستسقى صاحبها فأعطاه الماء، فطلب منه أن يبدأ بإخوته، فعجب الراهب، أن أحداً على وجه الأرض لا ينال هذا المقام، فأمره الراهب بإحضارهم، فلما حضروا دفع كل واحد منهم الماء لأخيه ليؤثره على نفسه، فأشفق الراهب عليهم، وملاً حوضاً صغيراً عنده وقال: اشربوا جميعاً فتناولوا جميعاً بأيديهم وشربوا.

أحوال الورع عند أصحاب رسول الله ﷺ

ف فوق ما يتصوره المتصورون، قال الله تعالى: ﴿يُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر ٩، ولولا أن هذه الرسالة موضوعة لبيان أسرار الصوفية لا أخبارهم، لبسطت من أحوالهم ما به تتضائل همم الأدياء.

الورع عند أهل التمكين

هو التورع عما سوى الله، ولأهل هذا المقام أحوال نظوى بساطها، فإن الورع فيه ناتج عن مشاهد عين اليقين، لحقارة ما تركه، وعظمة ما رغب فيه ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الحديد ٢١، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ البقرة ٤٥، فقد بلغ الورع بأهل التمكين، إلى أن يتورع أحدهم عن نفسه وحسه، إذا شام منها دخان شتات الوقت، وهيب التفرقة، عن استجلاء الأنوار لجوهر النفس، وقد بينت في كتاب "أصول الوصول" جملاً من الورع، وفي كتاب "شراب الأرواح" فراجعها إن شئت المزيد.

أخاف وأرجوا حفظ رتبة أولى
أخاف ذنوبى بل وأرجوك سيدى
أيارب جملنى بأخلاقك التى
مسئ وخطاء أنا فتداركن
تحققت ربى قابل التوب غافراً
أجيب دعا الداعى وأعطيه ما يشا
سألت مجيئاً يقبل التوب يعفو عن
أيارب وف الدين وسع عطاءنا
بأسائك الحسنى وبالذات قدست
أيارب أولادى وكل أحبتى
أمتنا على الإسلام أجمل ميتة
ولا تشغلن قلبى وجسمى بشاغل
أيارب واجعلنى كنوز غنى بها
كنوز علوم للمريدين وصلة
من الكشف من حق اليقين مؤيداً

ولكننى الطماع فى خير موئل
وأطمع فى رشفى طهور المنزل
بها أمنح الحسنى بتفصيل مجمل
بعفوك عبداً يسرن لى تواصلى
فأطمعنى آى بمحكمك الجلى
فسل ما تشا يعبد فى حال مقبل
خطايا مسئ قد يفوز بأكمل
بخير نبى بل بأكمل مرسل
تنزل لنا بسر عطايا المؤمل
أنلنا مزيد الفضل خير التنزل
لنلحق بالأخيار ياذا التفضل
بدنياى والأخرى ورزقى فسهل
سرور بنى الإسلام فى كل موئل
بنيهمو الزلقى بعلم وأكمل
بمحكم آيات بسر المنزل



الباب الرابع عشر

مقام التوكل والتفويض

قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ المائدة ٢٣، وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ الطلاق ٣، وقال سبحانه: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة ٥١ .

والتوكل هو طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية، فإن أعطى شكر وإن مُنع صبر، ورد العيش إلى يوم واحد، وإسقاط هم غد، وهو خلع الأرباب وقطع الأسباب، مع إلقاء النفس في العبودية، وإخراجها من الربوبية، ومقامات التوكل حقيقة لا يمكن ادعاؤها، وحال على لا يتسنى لسالك تكلفه.

التوكل عند السالكين

التوكل عند السالكين تسليم الأمور كلها للوكيل، مع الطلب ومزاولة الأسباب، شغلاً لنفسك ونفعاً للخلق، وتخلياً عن الدعوى، فإن السالك في بدايته قد يدعوه حال العلم إلى الشك في الأسباب، فيتجرد منها، فيعود ضرره على الخلق، ويتمكن منه العدو فيغتر بنفسه، فيكون الأكمل له أن يتعاطى الأسباب، تخلياً عن تلك المهاوى، فإن النفس إذا فرغت من الأسباب، ولم تكمل تزكيتها، استولت عليها المحظوظ والأهواء، والدعوى الباطلة، فإذا زاول السالك الأسباب، همدت نار النفس، وصغرت أعمال الطاعات في عينه، لم يجد الشيطان منفذاً يدخل عليه، وفي معاطاة الأسباب للسالك مزج لشرابه، حتى لا يخرج عن الاعتدال، فإنه بمزاولة الأسباب يختلط بالعامّة، مما يجعله على الطريق الوسط، لا يتجاوز حد الحكم، ولا يتغالى في الفهم.

التوكل عند الواصلين

التوكل عند الواصلين إسناد الأمور كلها إلى المالك سبحانه، واليقين الحق في التعويل على وكالته جل جلاله مع إسقاط الطلب، والنظر بعيون اليقين الحق إلى المسبب جل جلاله

نظراً يجعله يشهد قوته التي هي فوق الأسباب، غاضاً بصره عن الأسباب، مسارعاً إلى التحقيق بحقيقة التوكل، لتهمد نار بشريته، وتنمحي في عينه منزلة نفسه، بالإقبال بالكلية على الحق جل جلاله، حتى يكون كالطفل الرضيع أمام والدته الشفيقة الرحيمة، ولا يتحلى بحلل التوكل الجميلة، إلا من يتنزل للحق بتلك المنزلة، فلا يجد ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، كما أن الطفل الرضيع لا ملجأ له في كل نازلة إلا أمه، ولا يشهد لنفسه معيناً إلا هي، ولديها يزول شرف النفس الذي يعتروها بمزاولة الأسباب، فتصغر في عينها، وتشم طيب لا حول ولا قوة إلا بالله، ويفرغ القلب لمراقبة الرب، ويستريح البدن للمسارعة إلى القيام بما أوجبه الحق جل جلاله، فإن الواصل يجاهد نفسه أن يصبر مع الله تعالى حتى يتحقق بمعنى العبودية سراً وعلناً، قال الله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ الزمر ٥٤، فإذا لم يسقط الطلب كان له شغل بتدبير نفسه، وإذا لم يغض الطرف عن السبب لم تسكن نفسه إلى المسبب جل جلاله، لم يشم شذا عبير التوكل.

التوكل عند أهل التمكين

التوكل عند أهل التمكين تسليم النفس للوكيل جل جلاله بعد علم اليقين بحقيقة التوكل، والجهد الأكبر في الخلاص من التوكل، فإن نظر إلى نفسه متوكل، نقص عند أهل التمكين في التوكل، لشوب التوحيد بشهود عمل نفسه، وكيف يكون متوكلاً من شاب توحيده جهل بوحدة الأفعال؟! وأهل التمكين يردون الشئون إلى وحدة القضاء والقدر، ويردون الأسباب إلى واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، ولا يكمل التوكل في هذا المقام العلي، إلا بعد اليقين الحق، لقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ البقرة ٢٨٤، وقوله سبحانه: ﴿لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ يونس ٦٦، وقوله تقديست ذاته: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المائدة ١٢٠، فيشهد بعين اليقين أن العوالم كلها مملوكة لله، وأنه سبحانه وتعالى ملك عزيز، لا يشاركه في ملكه مشارك، بل هو القاهر فوق عباده، ومتمى تحقق علماً يقيناً بهذا المقام صح توكله، وتحقيق حقاً أن الحق - جل جلاله - هو مالك الأشياء وحده، ومن نازعه في صفة من صفاته قصم ظهره، ولديها يحسن توكله على الله، وكثير من أهل التمكين مات ولم يشم عبيره، فضلاً عن أن يتناول ظهوره، وإنما يتوكل حق التوكل على الله

من كان مؤمناً، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ المائدة ٢٣، وقد بين الله لنا ما ينفضل به على العبد المتوكل بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ الطلاق ٣، وأشار جل جلاله بأنه سبحانه يتولى من توكل عليه، فيكفيه ويشفيه ويواليه ويعصمه من الناس ويحميه، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ الزمر ٣٦.

فسارع أيها الأخ المسترشد إلى التنزل لربك العلي، حتى يفيض عليك جماله الجلي، وإن قهرتك نفسك فلا تحرم أن تكون لله كالطفل لأمه، فيكون لك أشفق وأحن من والدتك، ومن لم يستطيع أن يتنزل إلى رتبة الطفل أمام ربه الرؤوف الرحيم، فالأولى له ألا يقول: إني متوكل، فإن الله مطلع على سويداء القلوب، وهو سبحانه وتعالى علام الغيوب، والتوكل عند أهل التمكين يجعلهم يفرون من الكونين إلى المكون سبحانه بعد تحققهم بأنه أولى بهم من أنفسهم، وكيف لا يتحققون بتلك الحقيقة، وقد نزلوا إلى العدم البحت، وشهدوا المصور البديع الخلاق الرؤوف الرحيم، شهادة أفنتهم عن وجودهم المنسوب إليهم بوجودهم الحقاني، فشهدوا الشئون التي تجرى علماً بجوراحهم المجترحة، بتقدير الله وتدبيره وقدرته، ففروا من أنفسهم إلى منفسها، وأسلموا وجوههم لله رب العالمين، قال الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الأنعام ٧٩، وقال خطيب الأنبياء ﷺ: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ هود ٥٦.

فالسالك إذا ترك الأسباب ضل، ولا بد له منها، والواصل إذا توقف عند الأسباب زل، والأولى له التجرد منها، والتمكن عند شهود الحق لا تشغله الشئون عن منشئها، ولا الكائنات عن مكوئها، فهو في التجارة والبيع مع الله تعالى لأنه مع المسبب جل جلاله وإن تخلى عن الأسباب فالمسبب جل جلاله معه، قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ النور ٣٧.

للمتوكل على الله أنوار، تواجهه مع الوكيل العلي سبحانه، تجعله منعماً بمعاني صفات الجمال الإلهي سراً وعلناً، مبتهجاً بوكيله القوى ظاهراً وباطناً، وليس هذا مقام دعوى.. والله أسأل، يجملني، وأهلي وإخواني، بجمال المتوكلين، ويلحقنا بهم، إنه على كل شئ قدير.



التفويض

قال تعالى: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ غافر ٤٤.

والتفويض رد الأمور كلها للولى الحكيم القادر، والرضا بأحكامه، وهو فوق مقام التوكل، لأن كل مفوض أمره إلى الله متوكل، وليس كل متوكل مفوضاً أمره إلى الله تعالى، والتفويض ليس بعبارات تنطق بها الألسنة، ولكنها حقائق متجلية للقلوب، مواجهة للسرائر، قاهرة للجوارح، فالقول قسط اللسان من التفويض، ولكل عضو من الهيكل الإنسانى قسط منه، فللقلب الطمأنينة بمن فوض الأمر إليه، وللنفس السكون إلى منفسها، وللسر استجلاء معانى الأساء بحقيقة مقتضياتها، وللجسم الاستسلام للولى الذى إليه يفوض الأمر، وإليه يوجه الوجه وإليه يسند الظهر، ومن قال تلك الكلمات، فأخذ من التفويض قسط اللسان، وأهمل ما لكل جارحة من جوارحه من التفويض، كان كاذباً فى دعواه.

والتفويض فوق التوكل لأنه يكون حال السبب، وقبل السبب وبعد السبب، والتوكل لا يكون إلا بعد السبب، ولهذا كان التفويض أطف وأرق وأسمى من التوكل، وأصفى على السالك، بل الواصل من سريان النفس فى الجسم.

ومتى تناول طالب الله تعالى ظهور التوكل بملاحظة الأسباب، وتمكن فى هذا المقام، تميزت أمام سره الحضرتان، ثم تجلت كل حضرة بكمالاتها، فشهد أن كمال رتبته العجز والذل والفقر والعدم والاضطرار، وأن كمال رتبة الحق القدرة والقوة والغنى، فأسلم الأمر كله لوليه، وفوض جميع أموره إلى الله يقيناً حقاً.

فالسالك يرى بالتفويض أن الحق جل جلاله يملك كل شئ، ويتحقق بأنه لا يملك إلا الاستطاعة قبل العمل، فيدوم خوفه، ويزول يأسه فى المعونة، وتنمحي ثقته بالنية، ولذلك فإن الله جل جلاله قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة ٥، مع أن العبادة مقصد، والاستعانة وسيلة، فقدم اختصاصه بالعبادة سبحانه قبل اختصاصه بالمعونة، لينبه العبد إلى كمال التخلي عما يشوب العبادة الخالصة، ثم بين له أنه سبحانه وتعالى مختص بالمعونة، لينبهه إلى أن يتجافى عن شهود العمل بنفسه لأنه مكر بالعبد، لأن العبد إذا شهد عملاً بنفسه كان

مشرکاً، ولا يقبل الله عمل مشرك، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ الفرقان ٢٣، وإذا شهد العمل لنفسه في سيره أيضاً، حصل له اليأس والقنوط من رحمة الله، وذلك والعياذ بالله كفر، كيف لا ومن وقع في معصية وشهد العمل منه لا يذوق للتوبة حلاوة، ولا لنيل المغفرة لذة، لأن شهود المعصية منه به ذنب أكبر من المعصية، حتى يستنشق شذا عبير التوحيد، ويشم عرف التفويض، فيرجع بتوفيق الله إلى الله الذي قدر عليه المعصية، مستغفراً، نادماً فيغفر الله له، وإذا نسب العمل لنفسه ووثق بالنية، لأنه يظن لجهله أنه نوى بعمله هذا الإخلاص لله، وكيف يخلص لله مشرك، يرى غير الله فاعلاً، ويجهل أن الحول والقوة والتوفيق من الله؟ ولديها تنزعج نفسه التي تزكت من الثقة بالنية، وتسارع إلى الثقة بالله، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران ١٣٣.

فوض الأمر للولى الكريم
وكل الأمر للرءوف تعالى
وأنب مخلصاً إليه بصدق
كن له العبد راضياً إليه بصدق
عود المخلصين كل جمال
يجهل العبد قدره ليس يدري
من يكن ربه العلى تعالى
موقناً أنه رءوف ودود
يعط من أسلموا له الخير دوماً
يشهدون الجمال في كل شئ
علموا ربهم رءوفاً عطوفاً
يسألون الجمال وهو قدير
علموه أولى بهم من نفوس

لا تفكر في شأنك المقسوم
ثم أسلم له بقلب سليم
تعط منه منازل التكريم
تقتضيها الأسما تفرز بالنعيم
يمنح الخير بالجمال المقيم
فعليه الرضا بأمر العليم
يسع دوماً على الصراط القويم
واسع الفضل بالعطاء العميم
ويوالى بالجود والتعظيم
كيف لا وهو بالولى الحميم؟!
ثم حنوا إلى المجيب الكريم
بلسان صاف وقلب سليم
بل من المال أو صديق حميم

لم يروا غيره مريداً قريباً
واستعاذوا بوجهه من جلال
ومن الجهل والمعاصي استعاذوا
سألوه المزيد من كل خير
يا إلهي يا واسع الفضل إنى
وجمّالاً يودوم لى ولأهلى
أنت نعم الولى أنت وكيلى
لك وجهت كل قلبى وروحى
وقضاء الجمال فى كل شأنى
بمقام المحبوب خير البرايا
قد توجهت عائداً بك ربى
فأعدنى وارفع مقامى وقدرى
وعلى آله الكرام وصحب

فاستجابوا له نعم بالرسوم
ومن الشر أو ملم أليم
ودواعى الهوى وشر الرجيم
فأجاب الدعاء بفضل مقيم
أرج منك الرضا ونيل النعيم
ولكل الأحباب بالتكريم
أنت حسبى يا ذا المقام العظيم
أرج حفظى من حاسد ولئيم
ووصولى إليك غير ملوم
والحريص الرؤوف بل والرحيم
وبسر قد جاء فى ﴿حَمْدِ﴾
وصلاة على الرؤوف الرحيم
وعلى آله الكرام وصحب



الباب الخامس عشر

الثقة بالله تعالى

الثقة بالله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ البقرة ٢٥٧، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ المائدة ٥٥، وقال ﷺ: (اللهم إني وجهت وجهي إليك، وأسندت ظهري إليك، رهبة ورغبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابتك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت)، وفي الحكمة الثقة بغير الله عجز.

والثقة روح التوكل، وخالص التفويض، وهي تحقق بعلم النشأة الأولى، تحققاً يجعل الواثق بالله على يقين حق أن الله تعالى أولى به من نفسه، لأنه هو سبحانه أوجده من العدم، وأمده بما به حفظ حياته وبقائه منعماً، ولا شريك له سبحانه في إيجاده وإمداده، بل نفس أعضائه العاملة، وجوارحه المجترحة بإمداد الله وقدرته وقيوميته، فإذا بلغ العبد المؤمن هذا المبلغ من علم اليقين، أو عين اليقين، بلغ منزلة الثقة بالله تعالى، فاطمأن قلبه بذكره، وسكنت نفسه إليه سبحانه، وكان الله جل جلاله أقرب إليه من حبل الوريد، وشهد الحق سبحانه.

وأقل مشاهد المؤمنين في الثقة بالله، أن يرى نفسه طفلاً، وأن يرى الخالق جل جلاله له أباً وأماً، فتقوى ثقته بالله جل جلاله في جميع شئونه، كما ترى الطفل يلعب غير مفكر فيما يلزمه لثقتة بأبيه وأمه، فإذا جاع أو عطش أو خاف رجع إليهما، واثقاً بنيل كل رغائبه، ودفع كل أذية عنه، غير شاك ولا مرتاب في ذلك، ومن لم يكن مع الله كالطفل مع والديه فليس من أهل الثقة بالله تعالى، والطفل مع والديه مثل ضربه الله للمؤمن، ليتحقق بتلك المنزلة من القرب من الله تعالى، ولأهل الثقة بالله تعالى مشاهد أنس بالله تعالى ومنازلات بهجة به سبحانه في فادح الأمر ومؤلمه، قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ البقرة ٢٧٣، ولأهل الثقة مشاهد سجد العقل دون فنائها، بها إعلاء كلمة الله تعالى وتجديد سنن رسول الله ﷺ، تبلغ بهم مبلغاً تقع فيه العين على العين، بعد محو البين من البين ثقة به جل جلاله.

برهان ذلك

قول الخليل عليه الصلاة والسلام لجبريل عليه السلام عندما قال له: ألك حاجة؟ فقال له: أما إليك فلا، ثقة بالله الذي حجب الأواسط به سبحانه عن قلب خليله، حتى صار كأنه لا بين بينه وبين ربه جل جلاله، وشمة من عبير الثقة يدوم بها بسط العارفين، وبهجتهم ثقة بالمولى القوى المعين، وكمال تصديق بوعدده وإخلاص في التفويض له سبحانه.

ولما كان نزول الثقة بالله تعالى من أعلى مقامات أهل التفويض، وكان لا بد لكل مرید لله تعالى من أن يكون له قسط من التوكل والتفويض، ولا يكمل مقام التوكل والتفويض إلا بشميم هذا العبير، حتى يكون التحقق بهذين المقامين تحققاً عن مشاهدة، لا عن علم، فإن العلم قد يتسلى عنه من حصله عند فادح الأمر وعظيمه، فإن تلك المقامات العلية ليست علماً فقط، بل هي عملية أكثر منها علمية، وأهل التوكل والتفويض والثقة لا يظهرون تلك المقامات علماً، فإن ذلك يشير إلى التجمل للخلق، ولكنها تظهر منهم قهراً عنهم عملاً، حتى يتلقاها المریدون عنهم بالعمل، لا بالعلم فإن أهل الله الصالحين يسارعون إلى تجمل باطنهم لمولاهم جل جلاله بتلك المعانى، ثم تظهر منهم قهراً عند المقتضيات، فيتلقاها المریدون عملاً، فتتنقش حقائقها على جواهر نفوسهم، لما أودع الله من المحبة في قلوب المریدين منه سبحانه للمرشد الكامل تراهم يسارعون إلى التشبه به، ولو تعاصت عليهم قواهم النفسانية، وضعفت عن القيام بتلك الأعمال العظيمة أبدانهم الآدمية، ولكن جواذب المحبة تجذبهم إلى تحمل ما لا قبل لهم به، تشبهاً بمحبوبهم الذى هو إمامهم، المسارع بهم إلى حضرة القدس الأعلى وهى سنة ماضية.

ومن قرأ تاريخ العرب قبل إشراق شمس رسول الله ﷺ وقرأ تاريخهم بعد انبعاث تلك الأنوار، وسطوعها على الآفاق، يعلم قدر الفضل الإلهى الذى من الله به على عباده، فجعل على الأرض ملائكة فى صور أناسى، لا بل على الأرض أرواحاً قدسية فى هياكل آدمية، تطوف حولها الملائكة، لتقتبس أنوار القدس من مثل المشكاة المحمدية، وصور الحقيقة الأحمدية، وأن الفضل العظيم بيد الله يؤتیه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، ولولا الثقة بالله تعالى لعجز العالم أجمع عن أن يقوم بعمل فرد واحد منهم، ولا تعجب فالمسلمون الآن

قريباً من خمسمائة مليون لا يساوون رجلاً واحداً - أستغفر الله - ولا يساوون صبياً ممن كانوا في عصر رسول الله، أو في عصر التابعين لهم بإحسان، ذلك لأن الثقة فُقدت من قلوبهم، وبالثقة نيل خير الدنيا والآخرة، بل ونيل ما فوق ذلك من نيل رضوان الله الأكبر، ومواجهة وجهه الجميل، والأنس بسماع كلامه المقدس منه سبحانه.

ولو علم المسلم بمقدار ما يناله بالثقة، لبذل نفسه النفيسة عليه، لينال شميماً من الثقة بالله جل جلاله، وكفى المسلم الواثق بالله مجداً في الدنيا والآخرة، أن يكون الله أقرب إليه من نفسه التي بين جنبيه، وأن يكون له من الله ما يشاء في الدنيا والآخرة، فيفنى عن تلك المنزلة بالله جل جلاله، وإعظماً لجنابه العلى، عن أن يلتفت إلى شأن من الشئون، عن مشئ الشئون القريب، المجيب، العلى، العظيم، سبحانه وتعالى، ومن التفت عن الله بضعف الثقة به، وهو الفقير المضطر، كيف لا يلتفت عنه سبحانه وهو العلى العظيم، الغنى عنه؟ وليس التفتات الله تعالى عن العبد بسلب ماله، ولا بفقد عافيته، فقد يلتفت الله عن العبد فيستدرجه، وإنما التفتات الله عن العبد حرمانه من الثقة به سبحانه ومن التوكل عليه، وتفويض كل الأمور إليه، وحرمانه من الاستقامة، نعوذ بالله من الالتفات عن الله، ونحن المضطرون إليه، ونسأله سبحانه وتعالى أن يناولنا ظهور الثقة به، ويحملنا بحل التوكل عليه، وتفويض كل الأمور إليه، إنه مجيب الدعاء.

الثقة عند السالكين

يقين يباشر باطن القلب، يجعل المرید يشم عبير التوحيد، برجوع الشئون كلها إلى وحدة القضاء والقدر، فيحصل له اليأس عن معارضة مقتضيات القدر، ويقوى اليأس حتى يعقد عن نزوع نفسه إلى منازعة الأقسام، فيصفو وقته وحاله، ويتخلص من سوء الأدب بمعنى الإقدام على ما لا يليق أن يعمله موحد، فإذا حصل له اليأس مما سوى الله ومن سواه، وذاق حلاوة الرضا عنه سبحانه بعلم أنه سبحانه وتعالى أولى به، وأعلم بخيره من نفسه، ويترك المنازعة في شئونه، وسوء الأدب بالإقدام على ما لا يليق، تحقّقاً بالثقة بالله تعالى في نزله، فحمل على نجب العناية، وأنس بشهود الحكمة في كل شأن من الشئون.

الثقة عند الواصلين

تحقق بشهود التوحيد، تحقّقاً يجعل الواصل موحداً، بمعنى أن يشهد الأسماء والصفات في كثرتها عدداً لواحد أحد، ولديها يحصل له الأمن قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ الأنعام ٨٢، والأمن عندنا هو أمن يحصل به سكون النفس إلى الحق جل جلاله سكوناً يجعلها لا تخاف فوت ما قدره جل جلاله، ولا تغيير ما قضاه سبحانه، وبهذا الأمن يفوز الواصل بروح الرضا عن الله جل جلاله في مقام اليقين بالتوحيد، أو بشهود أنوار واحد، منزّه عن المثل والنظير والشبيه في مقام عين اليقين، أو يتجمل بحلل الصبر في مقام علم اليقين، وليس دون تلك المنزلة منزلة للواصل، فمن حرم الرضا، أو حرم التحقق بالتوحيد، أو حرم الصبر، فهو من عامة الناس، واسم الوصول له مجاز.

وفي هذا المقام يكون الأمن بمشاهدة وحدة القضاء والقدر، ولا ينازع هذا الأمن الخوف من مقام الرب جل جلاله، لأن أهل الوصول، خوفهم خوف عظمة وكبرياء، وشوق محرق إلى الحق، وإطلاق لجنابه العلى عن أن يسأل عما يفعل، فيكون الواصل بين أمن من خوف تغيير ما قدر عليه، فيحتال لنيل ما فاتته، أو يفرح لما أدرك لفنائه عن وجوده الباطل بالوجود الحق، وانبلاج أنوار معانى الصفات مشرقة في الآيات، وإشراق أنوار الآيات في نفسه وفي الآفاق، فيطمئن من تلك الحيشية، وتكون خشيته ورهبته وخوفه من المقام، لا من سر القدر، وتمتزج تلك المخاوف بخالص شراب المحبة، فيعتدل الخوف والحب في سور الأمن، لأنه لو خاف في شهود الشئون كان خوفه من غير ربه، وقد يلتبس على من لم يذق شراب المعرفة، الخوف من الشئون بالخوف من المقام، فيمزق الخوف أغشية قلوب قوم خوفهم من النار، أو من عذاب القبر، فيأمنون من جهة الخوف، ويخافون من جهة الأمن، وهذا مقام خفى لا يميز المنازل فيه إلا أهل الله الصالحون، الذين يفرون من الكونين إلى المكون سبحانه وتعالى، قال الله تعالى في وصف ملائكته: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ النحل ٥٠، والملائكة أرواح زكية طاهرة، في حصون الأمن من حصول العذاب أو الفتنة، ومع ذلك فإن الله تعالى أثنى عليهم بالخوف منه جل جلاله مع أمنهم، فالأمن في هذا المقام لا يقتضى عدم

الخوف، ولا يقتضى مخالفة الأمر، لأن القيام بالمأمورات في هذا المقام مواجهة خاصة، تتروح بها أرواح أهل القرب في مقامات القرب، قال ﷺ: (روحنا بالصلاة يا بلال)، وقال ﷺ في الحديث: (وجعلت قرّة عيني في الصلاة).

أطلت في هذا الموضوع، تنبيهاً لأهل شهود هذا النور، خشية عليهم من أن يروا هذا الأمن مقتضياً لترك الخوف من المقام العلى، أو لترك العمل بالأمر، وأنه لم يلاحظ كثير من الرجال تلك الملاحظات، لأن زمانهم كانت الحكمة لا تُباح إلا لمن تزكت نفوسهم، وصغرت الدنيا في قلوبهم، ورغبوا في الآخرة، لا للآخرة بل لأن الله رغبهم فيها، فرغبوا فيما رغبهم الله لا في بهجتها وزينتها. فعلى إخواني - حفظنى الله وإياهم من الجهل في هذه المقامات - أن يزنوا مشاهدهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدى الأئمة الهداة، فإن وضحت المحجة واتضحت المحجة، شكروا الله وأقبلوا بحول منه وقوة، وإلا رجعوا إلى الحق، فإنه ليس بعد الحق إلا الضلال.

الثقة عند أهل التمكين

يقين حق، لأن الحق جل جلاله هو الأول الأزلى، وأنه سبحانه هو الخير الحقيقى أولاً وبالذات، لا خير إلا هو، يقيناً يحفظه الله به في شئونه واعتقاده من المحن التى تعتور أهل التمكين في تمكينهم بالتلوين، فتتزع نفوسهم إلى قصد غيره سبحانه، مما يخفى ضرره عليهم، لأن قصد غير الحق حجاب عنه سبحانه، ولو كان ذلك المقصود رغب فيه الحق جل جلاله، اللهم إلا إذا كانت الرغبة فيه رغبة فيما رغب الحق جل جلاله فيه، لا لذاته، حتى يكون مقصوداً، فإن قصد غير الحق ولو كان مقعد صدق حجاب قاطع عن الحق، وإنما هى رغبة يقصد بها الخطوة بالحق، والقرب منه لأنه ستره، وتعالى الله عن أن يُدْرَكَ أو يُرى مكافحة، إلا في المظاهر التى أظهر جماله العلى فيها لينعم عيون القلب، وأرواح من أحبهم برؤية جماله العلى، ونوره البهى، وسره الجلى، سبحانه، ثم يتخلص من أن يتكلف ليحتمى بالتكلف، لأن أهل التمكين غرقى في شهود التوحيد بخالص التوحيد، ومن النزوع إلى التدرج على مدارج الوسائل، حتى يصفو السر للمواجهة، وتزكو النفس للمشاهدة، ويطمئن القلب، ويتلقى العقل الذى يعقل عن الله، فتتجلى تلك المعانى كلها بحلل الثقة

بالله تعالى، بالتخلي عن تلك الظلمات التي تغشاها، وهنالك يفوز المتمكن، بأن يكون قد استجاب لله فيستجيب الله له، وأطاع الله تعالى فيطيعه الله سبحانه، ومن استجاب الله له وأطاعه، لا تعلم نفس ما أخفى له.

ولأهل الثقة بالله تعالى أحوال عليية، تنبئ عن مقدار الشهود الذي يجعلهم يبذلون النفس والنفس ثقة بالله تعالى، ومسارعة إلى نيل رضاه سبحانه وتعالى، ورغبة فيما عنده، فترى أنفاسهم عامرة بذكر الله، وقلوبهم وجلة من الله وأنفسهم مبدولة في سبيل الله، ولولا الإطالة لذكرت لك من أحوالهم وأعمالهم ما لا يتصوره عقل عاقل أن يحصل من إنسان، ولكني أحب أن تقرأ تاريخ أصحاب رسول الله ﷺ مع رسول الله ﷺ وتزن نفسك بهذا الميزان، ثم احكم بعد ذلك على نفسك، أمن أهل الثقة بالله تعالى أنت أم لا؟ وتصور ما تحمله عليهم السلام من فادح الشدائد، وما بذلوه لله سبحانه وتعالى حتى أخبر أنه سبحانه يحبهم ويحبونه، وأخبر سبحانه أنه ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ المائدة ١١٩، والأمر سهل على من سهله الله عليه، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ البقرة ٤٥.

أسأل الله تعالى أن يمنحني وأهلي وإخواني وأولادي، حسن الثقة به جل جلاله، وأن يعيذني وإياهم جميعاً، بوجهه الجميل من فتن الدنيا والآخرة، وأن يواجهنا بوجهه الجميل مواجهة يدوم بها أنسنا به سبحانه وتعالى، وفرحنا بفضله ورحمته، إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ما اشتغالي وقد ضمنت شئوني
بعد قسم من واسع الفضل معطٍ
ما التفاتي وأنت أولى بنفسى
ذا لجهل أعوذ بالله ربي
أنت قدرت لي قبيل وجودي
ذا لأنى عبد ضعيف وشأنى
أنا عبد لا حول لي يا إلهي
وأرحني بسابغ الفضل ربي
واهتمامى بلازم التكوين
وعطاء من منعم مضمون
يا إلهي إلى الدنى المهين
من دواعي الحظوظ بعد اليقين
كل قسمي فما الذى يلوينى؟!
يقتضى العون منك بالتمكين
حصننى بحصنك المأمون
وبحلل الرضا ونور مبین

أعطنى وسعة وعزاً ونصراً
رضى عنك بالعطايا إلهى
وأرحنى من العنا باهتمامى
يسرن لى المقسوم من غير كد
وأذقنى حلاوة القرب ربى
طهر القلب من هوى وحظوظ
وأكرم الأهل والأحبة ربى
وبحفظ من الهموم إلهى
وارم كل الأعدا بسهم انتقام
واشرح الصدر يا إلهى بفوز
صلوات عليه فى كل نفس

وجمّالا أقوى به فى دينى
أشهدنى سر الخفا بالعيون
وبطلبى للرزق فى كل حين
سهلنه للعائل المسكين
آنس العبد بالجمال المصون
واملأنه من نور حق اليقين
بدوام التيسير والتحسين
ومن الضر والعنا والهون
وأرحنا من كيدهم بالحصون
وقبول بجاه طه الأمين
أحظى منها بأن تراه عيونى

الباب السادس عشر

الرضا

الفوز بالرضوان الأكبر

قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ الرحمن ٦٠، فمن أحسن إلى نفسه بالرضا عن الله، أحسن الله إليه بالرضا عنه، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۗ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ البينة ٧-٨، فالإيمان هو التصديق، واليقين الحق أنتج مسارعة الموقن لعمل الصالحات، تصديقاً لأوامر الحق وخشية منه سبحانه ورغبة فيما عنده، فينال ثناء الله لأنه خير البرية، ويفوز برضوان الله عنه، وبمواهب الفضل التى تجعله راضياً عن الله، وقال الله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

خَلْدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ التوبة ٧٢،
 فأخبر الله جل جلاله أن رضوانه أكبر من الجنات التي تجرى من تحتها الأنهار، ومن
 المساكن الطيبة في جنات عدن، وهذا الرضوان الأكبر لا يناله إلا أهل الذكر الأكبر،
 والذكر الأكبر أن يذكر العبد ربه حاضراً معه مشاهداً لجماله العلى وجلاله.

الرجوع إلى الله عين الرضا عنه

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ الفجر ٢٧-٣٠، والرجوع قد يكون في الدنيا وقد يكون في الآخرة، ومن
 لم يرجع إلى ربه في الدنيا لا يحسن رجوعه إليه سبحانه يوم القيامة، والرجوع إلى الله في
 الدنيا يكون بالتوبة والإنابة والندم على ما فاته، واستبدال قبيح الأعمال بحسنها، راضياً
 عن الله في رجوعه في الدنيا قبل الآخرة، مرضياً منه سبحانه داخلاً في عباده الصالحين، سر
 قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦٠﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٦١﴾﴾ الفاتحة ٦-٧، باعتقاد عقيدتهم
 والعمل بعملهم والتخلق بأخلاقهم، داخلاً في جنة شهود التوحيد الذي يجعل العبد واثقاً
 بالله متوكلاً على الله، مفوضاً جميع أموره إلى الله، معتصماً بالله صابراً لله وبالله وفي الله راضياً
 بالله وعن الله، ولديها يظفر بهذا الفضل العظيم يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ الحجرات ١١، لأنهم ظلموا أنفسهم بعدم
 الرجوع إلى ربهم في الدنيا، ووقفهم عند أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ
 فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ الإسراء ٧٢، وقيل: إن المؤمنين لا يموتون، ولكن ينتقلون من دار
 الفناء إلى دار البقاء، لأنهم خالفوا أنفسهم مسارعين إلى موضع رضوان الله، فماتوا بالإرادة،
 لأن رضاء الله لا يتحقق إلا لمن لا مراد ولا حظ ولا هوى ولا أمل ولا طمع ولا رغبة له في
 غير ما رغب الله فيه، ولا يخاف غير مقام ربه ولا يخشى إلا ربه، لتحققه حق اليقين بأنه لا
 إله إلا الله، وانبلاج أنوار الأسماء والصفات الإلهية له في كنز لا إله إلا الله، فيتحقق بأنه كما
 أنه لا إله إلا الله، لا منعم إلا الله ولا متفضل إلا الله، إلى آخر أسماؤه الحسنی.

مجمل الرضا: مسارعة العبد بحول من الله وقوة وتوفيق إلى القيام بما أوجبه سبحانه، وبما

سنه سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، وبما رغب فيه أئمة الهدى، مهما كان في ذلك من كلفة على النفس وألم، تاركاً كل ما نهى الله عنه بعزيمة صادقة مهما كان فيه من لذة للنفس ونزوع إليه فرحاً بإقامة الله له وعنايته به، شاكرًا الله على توفيقه.

الغضب على النفس عين الرضا عنه سبحانه

ثم الغضب على نفسه، ومجاهدتها أكبر المجاهدة إذا تعاصت عليه ساخطاً عليها، إرضاء لله ورضا عنه سبحانه، بما حكم وشرع وكلف وأمر، فيكون الغضب على النفس وسخطها ومجاهدتها غضباً عليها لله ورضا عن الله في الحقيقة ونفس الأمر، وليس من رضى عن نفسه بلقسها ورعونتها وميوها إلى المساخط، وبطئها عن المسارعة إلى الخير براض عن الله، بل هو راض عن نفسه، وراض بمقت الله له وذمه إياه وتشنيعه عليه، ومن رضى بذلك فقد أعد نفسه للنقمة في الدنيا والعذاب في الآخرة، ولا يتحقق العبد بالرضا إلا إذا بذل الجهد في مجاهدة نفسه طاعة لله فيما يرضيه، وألا يرضى بمعصية الله ومخالفة أمره، ثم يتجاوز الأدب فيقول: أنا راض عن الله بما أقامني فيه جدلاً منه، فإن الله يقيم من يكره فيما يكره، ليكون حكمه عليه يوم القيامة بالعذاب عدلاً منه سبحانه، وهو الحكم العدل، ويقيم من أحب فيما يحب، ليمنح من أحبهم مزيد فضله في الدنيا والآخرة، والله ذو الفضل العظيم.

ف قضاء الله على العبد بالمعصية عدل منه سبحانه، واعتقاد العبد أن ذلك عدل من الله لا يجعله يرضى عن نفسه بما هو فيه من سوء الأعمال وقبيحها، ظاناً أنه يحسن عملاً بقوله: أنا راض عن الله فيما قضى وقدر. أعوذ بالله من سابقة السوءى، هذا ما يتعلق بالرضا عن الله في قسم أحكام الله وتكليفه لعبيده.

الرضا عن الله في جريان قضائه وقدره

وأما الرضا عن الله في جريان قضائه وقدره، فوقوف العبد عند حد العبودة معتقداً أن ذلك من الله، وأنه سبحانه له في كل شأن من شئونه حكمة، وأن تقديره كله خير لعبده المؤمن ما دام لم يسببه بمعصية أو مخالفة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة ١٩٥،

وقال عليه السلام: (اعقلها وتوكل). فإن سوء القضاء وفادح البلاء لا شك أنه يؤلم نفوس الصديقين، الذين بلغوا أرقى مقامات الرضا، لأن العبد عبد لا يقوى على تحمل جلال الله، ومن ظن في نفسه ذلك فقد ضل وغوى، وليس الراضى من لا يحس بألم القضاء، إنما الراضى من يتألم ويحس، ولكن تلقاه ساكن النفس إلى الله مطمئن القلب بالله، معتقداً أن ما دفعه الله عنه أعظم مما نزل به، أو منتظراً سريع إغاثة الله له أو مراقباً أنه عبد وأن ربه هو المبلى، وأن قبول العبد لبلاء ربه مع فادح الآلام ينال به رضاء مولاه عنه، وما يظنه بعض أهل التلوين من أن الراضى عن الله لا يحس بألم البلاء، ولا يشعر بمر القضاء، وذلك مما يجدونه من شديد الشوق وعامل الحال، ومثلهم مثل من جلس في محل فاشتعلت فيه نار، فخاض النار غير شاعر بألمها لينجى نفسه، فإذا تجاوز النار ورجع له صوابه، بكى بما ألم بجسمه من الآلام، فكذلك أهل الأحوال قبل مقام التمكين، لهم شطحات يدعو إليها قهرمان الحال عن علم اليقين، ولولا الإحساس بالآلام والشعور بمر البلاء، لما بلغ العبد مرتبة الرضا، ولكان غير مجاهد، لأنه يكون كالجمادات والنباتات والأفلاك، وإنما ينال أهل الرضا الرضاء بمجاهدة بشريتهم القوية وأطماعهم الردية، ومن لم يكن كذلك فهو والبله سواء. نعم قد ينعم الله تعالى أصفياهه بالبلاء لما يواجههم به من كشف أسرار الحكمة وعظيم النعمة وجلى المنة، فتكون النفس مع آلامها تقبل مر القضاء وفادح البلاء، مما لا تستوجهه معصيته لربه، ليفوز بالرضا من الله وجزيل العطاء والفضل منه.

وقد شرحت هذا المقام شرحاً وافياً في قسم علوم اليقين من كتاب "أصول الوصول" وفي كتاب "الفرقة الناجية" وكتاب "شراب الأرواح" مستوفياً فراجعه لنيل المزيد من العلم، ولتتضح لك المحجة ولتستبين لك المحجة ويقوى يقينك، أورد لك ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك، وما قام به أصحابه والتابعون من بعدهم من أئمة أهل هذا المقام رضى الله عنهم.

فضائل الرضا

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتي أجنحة، فيطرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاءوا، فتقول لهم الملائكة: هل رأيتم الحساب؟ فيقولون: ما رأينا حساباً، فيقولون: هل جزتم الصراط؟

فيقولون: ما رأينا الصراط، فيقال لهم: هل رأيتم جهنم؟ فيقولون: ما رأينا شيئاً، فتقول الملائكة: من أمة من أئمة؟ فيقولون: من أمة محمد ﷺ، فيقولون: ناشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا؟ فيقولون: خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله هذه المنزلة بفضلته ورحمته، فيقولون: وما هما؟ فيقولون: كنا إذا خلونا نستحي أن نعصيه، ونرضى باليسير بما قسمه الله لنا، فتقول الملائكة: يحق لكم هذا).

وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى الله عنه بالقليل من العمل) وقال ﷺ: (يتجلى لنا ربنا ضاحكاً). وقال بعض العلماء: (أعرف في الموتى عالماً ينظرون إلى منازلهم من الجنان في قبورهم، يغدى عليهم ويراح في الجنة بكرة وعشياً وهم في غموم وكروب في البرزخ، لو قسمت على أهل البصرة لماتوا أجمعين، قيل: وما كانت أعمالهم؟ قال: كانوا مسلمين، إلا أنهم لم يكن لهم من التوكل ولا من الرضا نصيب). وما ورد في دعاء النبي ﷺ: (اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني إذا كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب، والرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، وأسألك الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين).

أقوال الأئمة في الرضا

قال رسول الله ﷺ: (اللهم إني أسألك الصحة والعافية والأمانة وحسن الخلق والرضا بالقدر)، وقال ﷺ: (إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله وأن تحسدهم على رزق الله وأن تدمهم على ما لم يؤتكم الله). إن رزق الله لا يجلبه حرص حريص، ولا يردده كره كاره، وإن الله بحكمه جعل اليسر والفرج في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط.

وقد كان سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنه قد استلقى على بطنه فبقى ملقى على ظهره مدة طويلة لا يقوم ولا يقعد، وقد ثقب له في سريره موضع لحاجته، فدخل عليه مطرف بن عبد

الله الشخير، فجعل يبكي لما رأى من حاله، فقال له سيدنا عمران لم تبكى؟ فقال لأنى أراك على هذه الحال العظيمة، فقال: لا تبكى فإنى أحبه إنى أحبه إنى أحبه، وقال: أخبرك بشئ لعل الله أن ينفعك به واكنم حتى أموت: إن الملائكة تزورنى فأأنس بها وتسلم على فأسمع تسليمها.

ولما قدم سيدنا سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه إلى مكة وقد كف بصره، جعل الناس يهرعون إليه ليدعو لهم فجعل يدعو لهم. قال عبد الله بن السائب: فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفنى، فقلت يا عم أنت تدعو للناس فيشفون فلو دعوت لنفسك لرد الله عليك بصرك، فتبسم ثم قال: يا بنى قضاء الله أحب إلى من بصرى.

وقال بعض العارفين: ذنب أذنبته أنا أبكى عليه ثلاثين سنة، قيل وما هو؟ قال: قلت لشيء قضاه الله ليته لم يقضه أو ليته لم يكن. وقال بعض السلف: لو قرض لحمى بالمقاريض كان أحب إلى من أن أقول لشيء قضاه الله لم يقضه.

وقيل لعبد الواحد بن زيد: (ها هنا رجل قد تعبد خمسين سنة، فقصدته فقال: يا حبيبي أخبرنى عنك هل قنعت به؟ قال: لا، قال فهل أنست به؟ قال: لا، قال فهل رضيت عنه؟ قال: لا. قال فإنما مزيدك منه الصوم والصلاة؟ قال نعم، قال: لولا أنى أستحى منك لأخبرتكم أن معاملتك خمسين سنة مدخولة).

وقال بشر بن بشار المجاشعى وكان من العلماء: قلت لعابد أوصنى قال: (اللق نفسك مع القدر حيث ألقاك، فهو حرى أن يفرغ قلبك، ويقل همك، وإياك أن تسخط ذلك فيحل بك السخط، وأنت عنه فى غفلة لا تشعر به، فيلقيك مع الذين سخط الله عليهم).

وقال بعض السلف: (ذروا التدبير والاختيار تكونوا فى طيب من العيش، فإن التدبير والاختيار يكدر على الناس عيشهم) وقال أبو العباس بن عطاء: (الفرج فى تدبير الله لنا، والشقاء كله فى تدبيرنا). وقال سفيان بن عيينة: (من لم يصلح على تقدير الله لم يصلح على تقدير نفسه).

وقال أبو العباس الطوسى: (من ترك التدبير عاش فى راحة). وقال عمر بن عبد العزيز

رحمه الله: (لقد تركتني هؤلاء الدعوات وما لي في شيء من الأمور كلها أرب إلا في مواقع قدر الله)، وكان كثيراً ما يدعو: (اللهم رضني بقضائك، وبارك لي في قدرك، حتى لا أحب تعجيل شيء أخرته، ولا تأخير شيء عجلته). وقال الفضيل: (الراضى لا يتمنى فوق منزلته).

وقال ذو النون: (ثلاثة من أعلام التفويض: تعطيل إرادتك لمراده، والنظر إلى ما يقع من تدبيره لك، وترك الاعتراض على الحكم، وثلاثة من أعلام التوحيد: رؤية كل شيء من الله، وقبول كل شيء عنه، وإضافة كل شيء إليه). وقال بعض العارفين: (أصل العبادة لا ترد من أحكامه شيئاً، ولا تسأل غيره حاجة، ولا تدخر عنه شيئاً).

فوق إنسانيتى فوق العقول أن أرنى راضياً بعد القبول
الرضا من فوق روحى والنهى جملنى بالرضا هب لى الوصول
إن إنسانيتى سجن بها شغل قلبى بالمحظوظ أنا الجهول
اجذبنى بالجمال ورضنى قد توسلت بمولانا الرسول
كيف أرضى سيدى إن لم أنل بالعناية عند مولاي المثول
رضا بالاجتبا إن الرضا جذبة الإحسان يعطى للفحول
وارض عنى جملنى بالهدى أقبلن بى سيدى كى لا أحول
فالعناصر داعيات للجفا وسع النعمى لذا العبد السئول



الباب السابع عشر

مقام الشكر

فضائل الشكر

قال الله تعالى: ﴿لَنْ شُكِّرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم ٧، وقد أمر الله به ونهى عن ضده وأثنى على أهله ووصف به خواص خلقه، وجعله غاية خلقه وأمره ووعد أهله بأحسن جزائه، وجعل من الشكر حارساً لنعمته، وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته، واشتق لهم اسماً من أسماؤه فإنه سبحانه هو الشكور، وهو غاية رضا الرب من عبده، أهله هم القليل من عباده، قال الله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ النحل ١١٤، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ البقرة ١٥٢، وقال جل جلاله عن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ ﴿١٢١﴾﴾ النحل ١٢٠-١٢١، وقال جل ثناؤه عن سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ الإسراء ٣، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النحل ٧٨، وقال: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران ١٤٤، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ إبراهيم ٥، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴿٧﴾ وَإِنْ تَكْفُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ الزمر ٧، وقلة أهله في العالمين تدل على أنهم هم خواصه، كقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ سبأ ١٣.

وعن عطاء قال: (دخلت على عائشة رضي الله عنها مع عبيد ابن عمير فقلت: أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ، فبكت وقالت: وأي شأنه لم يكن عجباً؟ إنه أتاني في ليلة، فدخل معي في فراشي (أو قالت في لحافي) حتى مس جلدي جلده، ثم قال: يا بنت أبي بكر، ذريني أتعبد لربي، قالت: قلت إني أحب قربك، فأذنت له، فقام إلى قربة من ماء فتوضأ وأكثر صب الماء، ثم قام يصلي، فبكي حتى سالت دموعه على صدره، ثم ركع فبكي ثم سجد فبكي، ثم رفع رأسه فبكي، فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة، فقلت: يا رسول الله، ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: أفلا أكون عبداً

شكوراً. ولم لا أفعل وقد أنزل على ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران (١٩٠).

وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ: (والله يا معاذ إنى لأحبك فلا تنسى أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) وقال عليه الصلاة والسلام: (ما أنعم الله على عبده نعمة فرأى عليه أثرها إلا كتب: حبيب الله شاكراً لأنعمه، وما أنعم الله على عبده نعمة فلم ير أثرها إلا كتب: بغيض الله كافراً لأنعمه).

وفي المسند والترمذي من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: (اللهم أعنى ولا تعن علىّ، وانصرنى ولا تنصر علىّ، وامكر لى ولا تمكر علىّ، واهدنى ويسر الهدى لى، وانصرنى على من بغى علىّ، رب اجعلنى لك شكاراً لك ذكراً لك رهاباً لك مطاوعاً، لك محبباً إليك أواهاً منيباً، رب تقبل توبتى واغسل حوبتى وأجب دعوتى وثبت حجتى واهد قلبى وسدد لسانى واسلل سخيمة صدرى).

أنواع الشكر

والشكر على ثلاثة أضرب: شكر بالقلب وهو تصور النعمة، وشكر باللسان وهو الثناء على المنعم، وشكر بالجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه.

أساس الشكر

والشكر مبنى على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره.

هذه الخمسة هى أساس الشكر، وبنائوه عليها، فإن عدت منها واحدة اختلفت قاعدة من قواعد الشكر، وكل من تكلم فى الشكر فإن كلامه إليها يرجع وعليها يدور.

أقوال الأئمة فى الشكر

وقال الإمام القشيري: الشكر الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع. وقيل: الثناء على المحسن بذكر إحسانه. وقيل: هو عكوف القلب على محبة المنعم، والجوارح على طاعته،

وجريان اللسان بذكره والثناء عليه. وقيل هو مشاهدة المنة وحفظ الحرمة. وقال حمدون القصار: شكر النعمة أن ترى نفسك فيها طفيلياً. ويقربه قول الجنيد: الشكر أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة. وقال أبو عثمان: الشكر معرفة العجز عن الشكر. وقيل: هو إضافة النعم إلى وليها. وقال رويم: الشكر استفراغ الطاقة، يعنى في الخدمة. وقال الشبلي: الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة، ومعناه أن لا يحجبه رؤية النعمة ومشاهدتها عن رؤية المنعم لها والكمال أن تشهد النعمة والمنعم، لأن شكره بحسب شهوده للنعمة، وكلما كان أتم كان الشكر أكمل، والله يحب من عبده أن يشهد نعمه، ويعترف بها ويثنى عليه بها ويحبه عليها، لا أن يفنى عنها ويغيب عن شهودها.

وقيل: الشكر قيد النعم الموجودة وصيد النعم المفقودة، وفي الحديث: (الحمد رأس الشكر، فمن لم يحمد الله لم يشكره)، والفرق بينهما أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته، والحمد أعم من جهة المتعلقات وأخص من جهة الأسباب، ومعنى هذا: أن الشكر يكون بالقلب خضوعاً واستكانة، وباللسان ثناءً واعترافاً، وبالجوارح طاعة وانقياداً، وقال سيدنا داود عليه الصلاة والسلام: (يا رب كيف أشكرك وشكرى نعمة على من عندك تستوجب بها شكراً؟ فقال: الآن شكرتني يا داود)، وفي أثر إسرائيلي: (أن سيدنا موسى ﷺ قال: يا رب، خلقت آدم بيدك، ونفخت فيه من روحك، وأسجدت له ملائكتك، وعلمته أسماء كل شيء، وفعلت وفعلت، كيف أطيق شكرك؟ قال الله عز وجل: علم أن ذلك منى، فكانت معرفته بذلك شكراً لى)، وقال الجنيد وقد سأله سرى السقطى عن الشكر وهو صبي: الشكر ألا يستعان بشيء من نعم الله على معاصيه، فقال: من أين لك هذا؟ قال: من مجالستك، وقيل: من قصرت يده عن المكافآت، فليطل لسانه بالشكر، وفي أثر إلهي، يقول الله عز وجل: (أهل ذكرى أهل مجالستي، وأهل شكرى أهل زيادتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، فإن تابوا فأنا حبيبيهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبيهم، ابتليتهم بالمصائب لأظهرهم من المعائب).

وقيل: التزم سيدنا الحسن بن علي عليهما السلام الركن وقال: يا إلهي، أنعمت عليّ فلم تجدني شاكرًا، وابتليتني فلم تجدني صابراً، إلهي، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر، ولا أدمت الشدة بترك الصبر، إلهي، ما يكون من الكريم إلا الكرم.

ويقال: شكر: هو شكر العالمين يكون من جملة أقوالهم، وشكر: هو نعت العابدين يكون نوعاً من أفعالهم، وشكر: هو شكر للعارفين باستقامتهم له في عموم أحوالهم.

الشكر عند السالكين

هو شهود ما يلائمهم من النعم التي لا تحصى، والثناء على الله سبحانه وتعالى، بالقلب والجوارح واللسان قولاً وعملاً، لما تفضل به عليهم بعد الحب والإخلاص له سبحانه وتعالى لشهود تلك الأيادي السابقة، قال ﷺ: (أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم)، وهذا الشكر خاص بأهل الإيمان، وإن ظهر أن غيرهم من أهل الكفر اشترك فيه معهم، فإن الخلق أجمعين من مؤمنين وكفار، يشعر بالسرور عند وجود ما يلائمه وبالشكر قولاً، ولكن أهل الإيمان امتازوا بأن الشكر منهم يكون بالجوارح والقلب واللسان مع الإيمان الكامل، وأما غيرهم من أهل الكفر بالله فإنهم إن شكروا فإن شكرهم يكون باللسان فقط لما يلائمهم، من مأكّل ومشرب وعافية وجاه، وهذا لا يعد شكراً لله سبحانه وتعالى من وجوه:

أولها: أن قلوبهم منعقدة على غير الحق، والله لا يقبل عملاً من مشرك.

الثاني: أنهم قد يتلذذون بما حرمه الله تعالى ويفرحون بفعل الكبائر، ويرونها نعمة فيشكرون عليها، وكيف يشكر الإنسان ربه على معصية ويتلذذ بمخالفته ويفرح باقتراف الكبائر!!

الثالث: أن الشكر عمل خاص وهو صرف الجوارح فيما خلقت له، والاستعانة بالنعمة على نيل رضاء المنعم، وهؤلاء إن قالوا باللسان فقد صرفوا جوارحهم فيما يغضب الله، واستعانوا بنعم الله على ما نهى عنه.

ولا يتحقق الشكر عند السالكين إلا بعد أن تستبين لهم سبل الهداية، ويتضح لهم ما يحبه الله من الأعمال وما يكرهه، ويتحققون بتوفيق الله لهم، وإقامته سبحانه إياهم فيما يحب، لمشاهدة أنوار التوحيد بقدر مقاماتهم، وبنظر عيون الإيمان بالغيب بقدر مشاهدتهم، ولديها يكونون من الشاكرين. ومن شكر الله على ما يلائمه من النعم وما يسره له من الأيادي، دون ملاحظة تلك المعاني، فله من الشكر قسط يسير. ولسعة فضل الله وعميم إحسانه

وعظيم بره، يقبله من العبد، ويهب به المزيد في الدنيا والثوبة في الآخرة، لأنه سبحانه وتعالى يحب الشكر ويقبل يسيره.

ومن وفقه الله تعالى من السالكون للشكر، فقد أسبغ عليه نعمته، وأهله لنيل فضله العظيم. ومن السالكون من يظهر الشكر حياء من الناس أو خوفاً من شماتتهم أو تجملاً لهم، وهذا لا يعد شكراً ولكنه يعد نكراً، فإن الشكر من أعلى مقامات اليقين، ولا يتحقق للسالك إلا بعد التوبة والإخلاص، والتوكل والرضا والتفويض، لأن تلك المنازل معارج للشكر، وليست منزلة الشكر من المنازل التي تدعى، فإنها منزلة أهل المحبة والمحبة أعلى من أن يدعيها مُدع، لأن أحوالها العلية تقتطع العبد إلى حضرة المحبوب الأول سبحانه اقتطاعاً لا يجعل له ميلاً إلى الخلق، ولا نظراً إليهم ولا رغبة فيهم، فلا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله.

وكيف يدعى السالك أنه في منزلة الشكر، وعلام الغيوب يطلع على سرائر القلوب؟

والشكر من أجمل حلل المقربين، وتلك الحلل زينة للقلوب لا زينة الجوارح. فمن ادعى أنه من الشاكرين مجملاً ظاهره للخلق غير مراقب ربه بقلبه، لا يلبث إلا ريثما يبتلى فتكشف عنه تلك الستارة، فيفضح في الدنيا قبل الآخرة. ومن تجمل للحق ألقى الله عليه محبة منه، وعظمه في قلوب عباده. ومن السالكون من يجمل باطنه بالشكر، ملاحظاً نيل المزيد من النعمة والجاه في الدنيا، فتغلب نيته عمل قلبه وجوارحه، وتلك المنزلة من أدق منازل الطريق، وأخفاها معالم على السالك، لأنها منزلة خاصة أهل الخاصة، قال تعالى ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ سبأ ١٣، فلينتبه السالك في هذه المنزلة، وليحافظ على مراقبة ربه جل جلاله، وليدم محاسبة نفسه. ولأن يتحقق بالمنزلة غير شاعر بأنه فيها، خير من أن يتحقق أنه نزل تلك المنزلة وهو بعيد عنها.

وأهل السلوك في الحقيقة غافلون عن منازلهم، لأن الله تعالى منّ عليهم بالعيون التي تشهدهم بأنهم صغار ناقصون، في أشد الضرورة إلى التخلية من الرذائل، مع ما منّ الله بهم عليهم من الفضائل التي أخفاها عنهم رحمة بهم. وكم من ولي محبوب لله، مقرب يدوب قلبه من الخوف يبكى ليله من خوف العذاب، ينظر إلى من هو فوقه علماً وتقوى، فتتضاءل في نظره نفسه، وينظر من هو دونه في الدنيا فتعظم نعمه لديه، وكم من جاهل مغرور ينظر إلى

من دونه في الدين، فيرى نفسه محسناً، وإلى من فوقه في الدنيا فيرى نفسه محروماً، وشتان بين من سعد كلمه الطيب إلى الله ورفع عمله الصالح إلى الله، فرأى نفسه ليس له كلم طيب وعمل صالح، وبين من رد عليه كلمه وعمله، فرآه كثيراً، قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فاطر ١٠.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يبكون خوف السابقة، مع ما تفضل الله به عليهم من الشكر، بأنهم رضى الله عنهم ورضوا عنه، وما بشرهم به رسول الله ﷺ بأن لهم الجنة، ولكن الله قبل كلمهم الطيب فصعد إليه، لأنها فيه وإليه وبه سبحانه ولم يبق لهم إلا احتقار أنفسهم وتعظيم خالقهم والتحقق بالعجز عن القيام بالشكر.

منحنى الله وإخوانى المؤمنين ببركتهم التوفيق لما يجب من القول والعمل والحال، ويتفضل علىّ وعليكم بما به يدوم شكرنا وذكرنا وطاعتنا له سبحانه ، آمين.

الشكر والصبر والاستغفار

أولاً منازل العبد الكامل

كمال العبد في ثلاثة أمور: إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلاه صبر، وإذا أذنب استغفر.

وهذه المنازل الثلاثة عنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في الدنيا والآخرة، لأن العبد يتقلب بين هذه الأحوال الثلاث، نعم من الله تعالى تترادف عليه فيزيدها بالشكر.

ثانياً أركان الشكر

والشكر مبنى على ثلاثة أركان: الاعتراف بالنعم باطناً، والتحدث بها ظاهراً، وتصريفها في مرضاة موليتها ومعطيها، ومع كل فإن فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها.

ثالثاً أركان الصبر

والصبر: هو حبس النفس عن السخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية.

ومدار الصبر على هذه الثلاثة: فإذا قام به العبد كما ينبغي، انقلبت المحنة في حقه منحة،

واستحالت البلية عطية، وصار المكروه محبوباً، لأن الله لم يبتلينا ليهلكنا، وإنما ابتلانا ليمتحن صبرنا وعبوديتنا.

وعلى ذكر العبودية، فإن الله تعالى على العبد عبودية في الضراء كما له عبودية في السراء، أى أن له سبحانه على العبد عبودية فيما يكره، كما له عليه عبودية فيما يحب.

رابعاً ألوان العبودية في السراء والضراء

وأكثر الناس يعطون الله العبودية فيما يحبون فقط، غير أن مراتب الناس وأقدراهم، ومنازل قربهم من ربهم، تكون بقدر شأنهم في إعطاء العبودية في المكاره، فالوضوء بالماء البارد في شدة الحر عبودية، ومباشرة الزوجة الحسنة عبودية، والنفقة على العيال وعلى النفس عبودية، وهذا من ألوان العبودية في السراء لأن النفس تميل إليها، فإذا أتاها الإنسان وهو صادق النية، أثيب عليها لأنها عبودية لله فيما يحبه الإنسان، وفي الحديث: (وفي بضع أحدكم صدقة).

ومن ألوان المكاره الوضوء بالماء البارد في شدة البرد، وترك المعصية التي اشتدت إليها النفس، وكذلك النفقة في المكاره وفي الضراء.

وقد ذكرنا لك ألواناً من العبودية فيما يحب الإنسان، وألواناً من العبودية فيما يكره، وذكرنا أن أكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون فقط، ولكن فرق عظيم بين العبوديتين، فمن كان عبداً لله في الحالين قائماً بحقه في المكروه والمحبوب، فذلك الذى صدقت عبوديته، وأصبح من عباده الذين ليس لعدو الله إبليس عليه سلطان ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ الحجر ٤٢.

خامساً الاستغفار باب العودة إلى الله

ولما علم عدو الله أن الله تعالى لا يسلم عباده إليه ولا يسلطه عليهم: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴿ص ٨٢-٨٣، فاستثنى عباد الله المخلصين، لأنه لا سلطان له عليهم، وذلك واضح مما تقدم، فهؤلاء الصادقون في عبودية الضراء وعبودية السراء هم في حرز الله وحفظه وتحت كنفه، على أنه ليس معنى هذا أنه يستحيل وقوع أحدهم في

معصية، وإنما شأنه شأن الرجل الذى يغتاله اللص، ولا يبتلى العبد إلا إذا وقع فى الغفلة والشهوة والغضب، وقد كان آدم أبو البشر ﷺ من أحلم الخلق وأرجحهم عقلاً وأثبتهم جناناً، ومع هذا، فلم يزل به عدو الله حتى أوقعه فى معصية ربه، وإبليس لا يتمكن من المؤمن إلا غيلة وعلى غرة وغفلة، حتى قد يظن المؤمن أنه لا يستقبل ربه عز وجل بعدها، وأن تلك الوقعة قد اجتاحتها وأهلكته، ولكن الله يفتح لعبده المؤمن باب العودة إليه بالتوبة، والندم والاستغفار والانكسار والذل والافتقار والاستعانة، وصدق اللجوء إليه ودوام التضرع والدعاء والتقرب منه سبحانه، بما يمكن أن يقدمه العبد من الحسنات، وعندها تعلق مرتبة المؤمن بسبب ذلك مرتبته الأولى قبل المعصية، وعندها يقول الشيطان: (يا ليتنى تركته ولم أوقعه).

سادساً معصية تفقرنى إليك خير من طاعة توجب الفخر عليك

وهذا معنى قول بعض العارفين: إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار، قالوا كيف؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه خائفاً منه مشفقاً وجللاً باكياً نادماً مستحياً من ربه تعالى ناكس الرأس بين يديه منكسر القلب له، فيكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة، بما ترتب على هذا الذنب من أمور سعادة العبد وفلاحه، حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة، ويفعل الحسنة، فلا يزال يمن بها على ربه ويتكبر بها ويرى نفسه شيئاً ويعجب بها ويستطيل بها، ويقول: فعلت وفعلت، فيورثه من العجب والكبر والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه، فإذا أراد الله تعالى بهذا المسكين خيراً، ابتلاه بأمر يكسره به ويذل عنقه ويصغر نفسه عنده، وإن أراد به غير ذلك خلاه وعجبه وكبره، وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه، فإن العارفين كلهم يجمعون على أن التوفيق هو أن لا يكللك الله تعالى إلى نفسك.

عجزى عن الشكر شكر الله بالحال
لم يحص نعماك عقلى بل ولا روحى
والروح منك وأنفاس النفائس بل
والقول والفعل إحسان تمن به
فإن قولى وفعلى دون آمالى
جلت عن المحصر عن تفصيل إجمال
محيط عرشك لى من فضلك العالى
ومن أنا العبد هب لى الخير للآل

جمال وجهك في جذب وإقبال
دنيا وأنسنى حلّى وترحالى
أجاور المصطفى فضلاً لسأل
يوم اللقا سيدى يسره فى الحال
والحب منك مجيب السؤل تسأل

كل العوالم فى عجز فأشهدنا
مولاي أنعمت فرحنا بفضلك فى
ورضى عنك فى يوم اللقا حتى
هب لى المزيد جمالاً منك عممه
به أعنى على نيل الرضا الزلفى



وبعد هذا يوالى الجذب والفضل
فكيف نشكر ما لا يحصى القول
نزاعة قد دعاها الغى والجهل
لما يلائمها والباعث والميل
إلى المجالس وهو الصد والسفل
وزك نفسى فإن النفس تنفعل
تولنى كى بخير الخلق أتصل
أغث عبيداً على مولاه يتكل
حتى أفر لنيل الوصل أرتحل
ما قيمة العلم إن لم يظهر الفعل
إليه ألجأ قصى كله الوصل
بدل خطاياى أو يهوى بى العدل
وطهرنها من الأوزار قد تسلو
أذاب قلبى وبالغفران قد أعلو
وخير نعماك يولى منك يتصل
والخير منك لأولادى به اتصلوا

نعماك عن حصرها قد يعجز العقل
والشكر يا سيدى من فوق طاقتنا
الخير منك يوالينا وأنفسنا
جوارحى نزعنت للغى طامحة
لم يكبحنها وعيد وهى جامحة
عجزت عن كبحها مولاي أدركنى
على يقين بأن الغى يوبقنى
أيام عمرى انقضت فى الفحش فى ظلم
بغض إلى المعاصى عمرن قلبى
العلم يهتف بالأعمال أو ينأى
أعوذ من نفسى جوارحها
وجهت وجهى إلى مولاي مضطراً
أشكو إلى الله نفسى زكها ربى
مولاي خذنى من فعل الجوارح قد
يسر عطاياك رضواناً وعافية
هداية منك توفيقاً لما ترضى

الباب الثامن عشر

مقام المحبة

بيان في اشتقاق المحبة

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ المائدة ٥٤، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ اٰندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا اٰشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ البقرة ١٦٥، وقال رسول الله ﷺ: (سمعت جبريل يقول عن رب العزة عز وجل: من آذى لى ولياً فقد آذنته بالحرب، وما شككت فى شىء أنا فاعله تشككى فى قبض روح عبدى المؤمن، يكره الموت وأنا أكره إساءته ولا فرار منه، ولا يتقرب إلى بأحسن من أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده) وقال رسول الله ﷺ أيضاً: (إن الله يحب من أحب لقاه، ويكره من كره لقاه)، وقال أيضاً: (إذا أحب الله العبد قال لجبريل: يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه، فينادى جبريل فى أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض حتى يحبه أهلها).

وكما يحصل بخصوص المحبة يحصل بخصوص الكراهة. المحبة مشتقة من المحبة وهى البذور التى تسقط فى الأرض، فاسم حب قد جعل لمثل هذه المحبة، لأن المحبة هى أصل الحياة، كما أن حبة هى أصل النبات، فكما أن الحبوب إذا بعثرت فى الأرض اختفت، ونزل عليها الماء والشمس والبرد والحر، ومع ذلك لم تفسد باختلاف الفصول، لكنها تنمو وتخرج الزهور وتعطى الثمار، فكذلك المحبة إذا سكنت فى القلب لم تتغير بحضور ولا بغيبه، ولا بالم ولا بلذة ولا بفرقة ولا بجمع.

ورأى آخر: هو أن المحبة مشتقة من الحب، وهو القدر المفعم بالماء العذب، لأن المحبة إذا جمعت فى القلب وملأته لا توجد محلاً للتفكر فى غير الحبيب، والحب سمي بالمحبة لأنه يمحو من القلب كل ما سوى المحبوب.

ورأى آخر: هو أن المحبة مشتقة من الحب، وهو (السبية) التى تعلق عليها القربة، لأن

المحب يحمل بكل سهولة كل ما فرضه المحبوب أيا كان ذلك شرفاً أو عيباً أو ألماً أو سروراً أو عدلاً أو قذياً.

ورأى آخر: المحبة مشتقة من الحب، جمع حبة، وهى سويداء القلب التى تسكن فيها المحبة، ففى هذه الحالة المحبة تسمى على اسم مسكنها، وذلك تعبير متداول فى اللغة العربية.

وبعض العارفين يشتقونها من الحبيب، وهو البرد الذى ينزل مع شدة المطر، لأن المحبة هى ثوران بالقلب فى اشتياق إلى الجمع بمحبوبه، وكما أن الجسم يبقى مع وجود الروح كذلك القلب يبقى مع المحبة، والمحبة تبقى مع مشاهدة الجمع بالمحبوب، والحب اسم لخالص المحبة، لأن العرب يسمون (نن العين) بإنسانها، كما يسمون سويداء القلب بحبة القلب، وتلك هى كرسى المحبة، وأما الأولى فهى للرؤيا، لذلك فالقلب والعين نظيران فى المحبة، والمحبة هى ميل القلب بجاذبة قاهرة وهى محبة العبد لربه.

محبة العبد لله

أما محبة العبد لله هى إثارة العبد ربه على كل شئ حتى يتأله له دون كل شئ، ويشغل بذكره عن سواه، ويحترق حباً فيه وشوقاً إليه حتى تكشف له المحجب فيراه.

محبة الله للعبد

أما محبة الله للعبد هى إثارة من الله تعالى لعباده المخلصين، يرفعهم به إلى مقام المقربين، ويشرفهم به بمعية رب العالمين، ويواجههم به فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، وقد شرحت مقام المحبة وأحوالها فى كتاب "أصول الوصول" وغيره، ولما كان الله سبحانه وتعالى عالياً عظيماً فلا تدركه الأبصار، ومنزهاً عزة ومجداً لا تجانسه الأرواح الطاهرة، ولا تشاكلة العقول الكاملة، فكيف يدانيه المحس أو الجسم!.



اتباع سيدنا رسول الله ﷺ

عين محبته سبحانه

ومتقرر أن السعادة والخير لا ينالان إلا بالقيام بما يحبه ويرضاه، والسبيل إلى نيل محابه هو اتباع رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام، لأنه سبحانه وتعالى صاغ نفوسهم الطاهرة من أصفى الجواهر النورانية الروحانية الربانية، واصطفاهم لنفسه، فكانوا وسيلة إلى خلقه ووسائل خلقه إليه سبحانه وتعالى، بما كاشفهم به من أسرار غيبه المكنون وأنوار سره المصون، وما واجههم به من جماله وبهائه وضيائه ونوره وجلاله وكماله، ولما كان كل رسول جاء إلى قومه ليظهرهم من نجاسات الأخلاق التي كانوا عليها، ويبين لهم خلقاً من أخلاق الله تعالى، اقتضت حكمة الله تعالى أن يخص كل رسول بآية من الآيات، التي يمحو الله بها ما كانت عليه أمته من الضلال، ثم يرسل رسولاً آخر بحسب استعداد الأمة وما كانت عليه، حتى أهل المجتمع الإنساني للكمال المطلق، وللوصول إلى المقام الأعلى الذي أعده للإنسان في الدنيا والآخرة، بعث خاتم الرسل سيدنا محمداً ﷺ متمماً لمكارم الأخلاق فاتحاً للرسالة، لأن الله سبحانه كما عاهد بنى الإنسان يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الأعراف ١٧٢، ألا يشركوا به أحداً، واثق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بعد أن منحهم الحسنى أنهم يكونون أتباعاً لحبيبه ومصطفاه ﷺ إذا ظهر في زمان رسول منهم، تنبيهاً بقدره عند الله تعالى، وإعلاناً من الله سبحانه أنه الرسول المبعوث بأكمل الكمالات التي يجبها الله، ويرضاها، لأن كل رسول منهم محتاج إلى المقام الأكمل، الذي لا ينال إلا به ﷺ متى ظهر في أى زمان، ومن لم يدرك زمانه من أهل الإيمان بالله وبرسله الصادقين، فهو على الحال الكاملة حتى يظهر ﷺ ومن خالفه من أهل الإيمان في زمانه، كان كافراً بالله وبرسله جميعاً.

فإن المؤمن بالتوراة والإنجيل لا يكون مؤمناً إذا خالف رسول الله بعد شروق شمسه، لأن تكذيبه جحود بالله تعالى، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِبَيِّنَاتٍ أَنَّهُ يُجْحَدُونَ﴾ الأنعام ٣٣، فهو ﷺ رسول الرسل، وكتابه مهيمن على جميع الكتب، لأنه صلوات الله عليه وسلامه جاءنا بتمام مكارم الأخلاق ومحاسن الأعراف، قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ النساء ٨٠، ومن وفقه الله تعالى لاتباع حبيبه ﷺ كان عاملاً بمحاب الله

ومراضيه، ولا يعمل بمحاب الله ومراضيه إلا محبوب الله تعالى، لأن كل محب لله محبوب لله تعالى على قدر كماله العلمي اليقيني، ولم تكمل تلك الحقائق في كتاب سماوى قبل القرآن، وليس المتخلق بخلق واحد من أخلاق الله تعالى كالمتخلق بجميع أخلاقه سبحانه، ولا العامل بعمل واحد محبوب لله كالعامل بجميع محابه سبحانه. فإن نوحاً ﷺ طلب من قومه ترك عبادة الأصنام، وصالحاً طالب قومه بالمساواة بينهم، ولوطاً ﷺ نهى قومه عن الفاحشة القبيحة، وموسى ﷺ طالب أعداءه بالحرية لبني إسرائيل، وعيسى ﷺ طالب قومه بالخلق الحسن والرجوع إلى الأثر، وجاءنا رسول الله ﷺ بكل ما جاءت به الرسل، وزادنا الله من فضله ما به نحظى بمعيته وعنديته، فيكون معنا، ونكون معه، سبحانه، ونكون عنده ويكون عندنا كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ النحل ١٢٨، وقال سبحانه: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ القمر ٥٥، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ الأعراف ٢٠٦.



تخصيص الأمة المحمدية بالمقامات العلية

هذه المقامات العلية لم يتفضل الله بها على أكمل أتباع الرسل السابقين، لكنه سبحانه خصنا بها دون غيرنا، لما أكرمنا به من محابه ومراضيه التي جمعت لنا الخير كله، فرسول الله ﷺ خير الرسل قدراً وأفضلهم منزلة وأنفعهم للعالم أجمع، وكيف لا والحجة قائمة والمحجة واضحة والحقائق جلية! أقامه الله مقامه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الفتح ١٠، وتفضل عليه سبحانه بخير الفضل بلا سؤال مما يتفضل به على أولى العزم بعد السؤال، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿﴾ النجم ٨-١١.

أثبت لحبيبه القرب بلا بين حتى وقعت العين على العين، وأنه ﷺ في قوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ النجم ١١، على رواية تشديد الذال، أى ما كذب قلبه بصره فرأى ﷺ ببصره ما رآه بقلبه، وموسى ﷺ يقول: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي﴾ الأعراف ١٤٣، وموسى ﷺ يقول: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ طه ٢٥، والله يقول لحبيبه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الشرح ١، وموسى ﷺ اختار من قومه سبعين رجلاً، فلم يرشدوا، وسيد الرسل ﷺ يقول الله تعالى مبيناً لقدره: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ النساء ٨٠.

ويقول رسول الله ﷺ: (لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكنه أخى وصاحبى)، ويقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ التوبة ٦٢، وفي أفراد الضمير (هاء) من مضمون العلم ما لا تفى به الإشارة، فظهر جلياً أن اتباعه ﷺ وضعه الله تعالى سبباً لمحبتة للعبد المتبع، وهو سبحانه مسبب الأسباب، وتلك الآية الشريفة بينت سبيل النجاة، فمن خالفه ﷺ، وادعى محبة الله تعالى، كذب على نفسه.

التباس الحال على العمال

الحال عندنا هو الحجة التي تقوم على كمال الاتباع لرسول الله ﷺ، فإن الشريعة المطهرة جاءتنا بالرخص والعزائم، والرخصة شئ محدد ومعدود، والعزائم درجات، والشريعة هي الطرق الواسعة التي تطبقها كل النفوس على السواء، فكل ما جاء في الشريعة المطهرة هو

الوسط الذى لا يتجاوزه الغالى فيضل، ويتساهل فيه البطئ فيزل، ولأهل العزائم إذا عملوا بما علموا على الوجه الأكمل ميراث ينالونه من النبوة بعد تزكية نفوسهم، يتفضل الله به عليهم بقبس من مشكاة أنوار رسول الله ﷺ بالإلهام الإلهى، يشهدون به آيات الله تعالى ويمنحون به علم ما لم يكونوا يعلمون.

قال ﷺ: (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم)، فقد تقهرهم أحوالهم، فينكر عليهم من لم يبلغوا مقامهم، ويتشبه بهم من لا بصيرة لهم، فإن الشريعة تأمر بالسعى فى الأرض، والأكل من رزق الله تعالى، وقد يقوى الوجد عند أهل العزائم فيمشون فى الأرض للأكل من رزق الله، فيرزقهم الله تعالى غذاء القلوب، بما يروونه من الآيات، بدليل قوله تعالى: ﴿سُنِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ ^{فصلت ٥٣}، فنفعهم الله بهذا الرزق طلب رزق الأجسام، ويسر لهم ما لا بد لهم منه، فيتركون العمل فى الدنيا للدنيا، ويعملون فيها لله، بغية فى نيل فضله ورضوانه، فيكون المنكر عليهم جاهلاً بحالهم، والمسلم لهم من غير بصيرة تائهاً شاطحاً، وهم رضى الله عنهم يسارعون إلى الخير، ويدعون ربهم رغباً ورهباً اتباعاً لرسول الله ﷺ، وتشبهاً به، ولو أن أهل الإنكار ذاقوا جرعة من محبة الله تعالى لذابت قلوبهم شوقاً إليه، ولا نكشفت لهم الستائر عن حقيقة الدنيا ففروا منها، قياماً فيها شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين، عملاً لله تعالى بالإخلاص، واليقين ومحبة الله تعالى، فضلاً منه، ويؤثر به من يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ ^{المائدة ٥٤}، فقله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ﴾، أكبر بشرى للمؤمنين تثبت أن أمة سيدنا محمد ﷺ مخصوصة بهذا الفضل من أوله إلى أن تقوم الساعة، وليس هذا الفضل خاصاً بالصحابة، بل هو عام لجميع المسلمين فى أى زمان ومكان، لأن معجزة النبى ﷺ تدوم لأمته وإن بعد عنها، فإن الله أنزل المن والسلوى لبنى إسرائيل معجزة لموسى، ولما توجه موسى لميقات ربه أبقى تلك المعجزة لبنى إسرائيل فى غيبة سيدنا موسى، وبعده زماناً ومكاناً، فمعجزته ﷺ من اختيار رجال من أمته، وإبثارهم بمحبته تعالى لا تغيب من الأمة وإن بعد زمانه بدليل قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ﴾ ^{المائدة ٥٤}، ومعلوم أن سوف للزمان البعيد، فالله يبشرنا بإظهار رجال يحبهم ويحبونه فى كل زمان، وقد رأتهم عيوننا، وسمعت أخبارهم آذاننا

بدليل قوله ﷺ: (لا يزال طائفة من أمتي قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله).

وها نحن في هذا الزمن المتأخر، نسمع بأنصار الله في الأناضول، القائمين لله تعالى يجاهدون في سبيله أعداءه ويجددون سنته، ونرى أفراداً من ورثته ﷺ يصدعون بالحق، لا تأخذهم في الله لومة لائم ينوعون الأفكار، ويجددون السنن ويبينون الحكمة والآيات، ويملئون القلوب يقيناً وحباً بعباداتهم وإشاراتهم وأحوالهم، ولا يخفون إلا على الخفافيش.

كل هذا الخير العظيم الذي فزنا به جماعة المسلمين هو بركة من بركات رسول الله ﷺ، ووابل من غيئه المحيي للقلوب التي يجذبها إلى علام الغيوب، وقد أشرقت شمس المحمدية في شهر ربيع.

كل المقامات قبل الحب تعريف	والحب غيب له المحبوب موصوف
الحب جمع وفرق في منازلة	بالاتحاد على الأعراف موقوف
في جانب الطور إنسانيتي سترت	عنى وبوركت والمشتاق ملهوف
نوديت من جانب التقديس مرتشفاً	عبداً وقلبي بمن ناداه مألوف
شاهدت في الحب ناراً قبل معرفتي	حيث المعنى بضوء النار معروف
صارت لى النار نوراً بعد معرفتي	قلبي على الوصل مضطرب ومعكوف
في جانب الأيمن الأنوار تظهر لى	فى بقعة بوركت كشفاً وتصنيف
الحب منه له معنى ﴿يُحِبُّهُ﴾	والحب منى له والعبد موصوف
وصف به صرت متحداً ومنفرداً	قربى بحبى وبدئى فيه تعريف

تم بحمد الله



الفهرس

المقدمة

٥ المقامات نتائج مشاهد التوحيد

الباب الأول

٧ مقام السماع

٧ السماع المدوح شرعاً

٨ السماع المذموم شرعاً

٩ السماع عند السالكين

١٠ السماع عند الواصلين

١١ أعلى مقامات السماع

١٣ عذر من أنكر السماع

الباب الثاني

١٤ مقام التسليم

١٦ التسليم عند السالكين

١٦ التسليم عند الواصلين

١٩ التسليم عند أهل التمكين

الباب الثالث

٢٠ مقام التهذيب

٢٠ التهذيب عند السالكين

٢١ التهذيب عند الواصلين

٢٢ التهذيب عند أهل التمكين

الباب الرابع

٢٥ مقام اليقظة

٢٥ اليقظة عند السالكين

٢٦ اليقظة عند الواصلين

٢٦ اليقظة عند أهل التمكين

الباب الخامس

٢٧	الرعاية
٢٨	الرعاية عند السالكين
٢٨	الرعاية عند الواصلين
٢٩	الرعاية عند أهل التمكين

الباب السادس

٣٠	مقام المراقبة
٣٠	المراقبة عند السالكين
٣٠	المراقبة عند الواصلين
٣٢	المراقبة عند أهل التمكين

الباب السابع

٣٤	مقام الإخلاص
٣٥	الإخلاص عند السالكين
٣٥	الإخلاص عند الواصلين
٣٦	تنبيه
٣٧	الإخلاص عند أهل التمكين

الباب الثامن

٣٩	مقام التوبة
٣٩	نيل أنوار التوبة
٣٩	مشاهد أهل الصفا في التوبة
٤٠	مشاهد التوابين
٤٠	لطائف التوبة

الباب التاسع

٤٢	مقام الصبر
٤٢	أنواع الصبر
٤٣	جيش الحق وجيش الباطل
٤٤	الصابرون أئمة للمتمقين

٤٦	الصبر عند السالكين
٤٦	أولاً: صبر السالك عن المعصية
٤٦	ثانياً: تبصرة السالكين
٤٨	الصبر عند الواصلين
٤٨	أولاً: صبر الواصل على الطاعة
٤٩	ثانياً: تنبيه للواصلين
٤٩	الصبر عند أهل التمكين

الباب العاشر

٥١	مقام الرغبة
٥١	الرغبة عند السالكين
٥٢	الرغبة عند الواصلين
٥٢	الرغبة عند أهل التمكين

الباب الحادى عشر

٥٤	مقام الحرمة
٥٤	الحرمة عند السالكين
٥٤	الحرمة عند الواصلين
٥٥	الحرمة عند أهل التمكين
٥٥	أولاً: الحرمة عند أهل التمكين في مقام البسط
٥٦	ثانياً: الحرمة عند أهل التمكين في مقام السرور
٥٨	ثالثاً: الحرمة عند أهل التمكين في مقام الشهود

الباب الثانى عشر

٦٠	مقام الزهد
٦٠	الزهد عند السالكين
٦١	الزهد عند الواصلين
٦١	الزهد عند أهل التمكين

الباب الثالث عشر

٦٢	مقام الورع
----	-------	------------

٦٢	الورع عند السالكين
٦٢	للسالكين أحوال في الورع
٦٣	الورع عند الواصلين
٦٣	الورع عند أصحاب رسول الله ﷺ
٦٣	الورع عند أهل التمكين

الباب الرابع عشر

٦٥	مقام التوكل والتفويض
٦٥	التوكل عند السالكين
٦٥	التوكل عند الواصلين
٦٦	التوكل عند أهل التمكين
٦٨	التفويض

الباب الخامس عشر

٧١	مقام الثقة بالله تعالى
٧٢	برهان ذلك
٧٣	الثقة عند السالكين
٧٤	الثقة عند الواصلين
٧٥	الثقة عند أهل التمكين

الباب السادس عشر

٧٧	مقام الرضا
٧٧	الفوز بالرضوان الأكبر
٧٨	الرجوع إلى الله عين الرضا عنه
٧٩	الغضب على النفس عين الرضا عنه سبحانه
٧٩	الرضا عن الله في جريان قضائه وقدره
٨٠	فضائل الرضا
٨١	أقوال الأئمة في الرضا

الباب السابع عشر

٨٤	مقام الشكر
----	-------	------------

٨٤ فضائل الشكر
٨٥ أنواع الشكر
٨٥ أساس الشكر
٨٥ أقوال الأئمة في الشكر
٨٧ الشكر عند السالكين
٨٩ الشكر والصبر والاستغفار
٨٩ أولاً: منازل العبد الكامل
٨٩ ثانياً: أركان الشكر
٨٩ ثالثاً: أركان الصبر
٩٠ رابعاً: ألوان العبودية في السراء والضراء
٩٠ خامساً: الاستغفار باب العودة إلى الله
٩١ سادساً: معصية تفقرني إليك خير من طاعة توجب الفخر عليك

الباب الثامن عشر

٩٣ مقام المحبة
٩٣ بيان في اشتقاق المحبة
٩٤ محبة العبد لله
٩٤ محبة الله للعبد
٩٥ اتباع سيدنا رسول الله عين محبته سبحانه
٩٧ تخصيص الأمة المحمدية بالمقامات العلية
٩٧ التباس الحال على العمال
١٠٠ الفهرس

